مخطوطة

رسالة في القضاء والقدر

المؤلف

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قاعده فى الصفات والقدر

تصنيف شيخنا شيخ الاسلام وناصر السنه فريد الوقت حبر العلوم
بقيه المجتهدين وقدوه المتحرين تاج العارفين لسان المتكلمين
رحله الطالبين حجه الراسخين امام الزاهدين الاوحد الحجه النورانى
والعالم المتقن الربانى المقدوف فى قلبه النور الالهى والعلوم
الرفيعه والفنون البديعه والاخذ بازمه الشريعه الجامع
لانواع المحاسن الحاوى من الصفات الاحاسن فالاحاسن
تقى الدين ابو العباس احمد بن شيخنا الامام العالم العلامه شهاب
الدين حلى الاسلام شرف الانام مفتى الشام ابى المحاسن عبد الحليم
ابن شيخنا الامام القدوه العلامه مجد الدين ضيا الاسلام شرف
الانام رئيس الاصحاب شيخ المذاهب سيد العلما والفضلاء
ابى البركات عبد السلام بن عبد الله بن ابى القاسم بن محمد بن تيميه
الحرانى نفعنا الله بعلومه الفاخره واثابه فى الدنيا والاخره
واسبغ عليه نعمه باطنه وظاهره بمنه وكرمه وحسن لطفه

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا

ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له

ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد ان محمدا

عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم تسليما اما بعد

فقد سألني من تعينت اجابتهم ان اكتب لهم مضمون ما سمعوه مني في

بعض المجالس من الكلام في التوحيد والصفات وفي الشرع والقدر

لمسيس الحاجة الى تحقيق هذين الاصلين وكثرة الاضطراب فيهما

فانهما مع حاجة كل احد اليهما وان اهل النظر والعلم والارادة

والعبادة لا بد لهم ان يخطر لهم في ذلك من الخواطر والاقوال ما يحتاجون

معه الى بيان الهدى من الضلال لا سيما مع كثرة من خاض في ذلك بالحق

تارة وبالباطل تارات وما يعتري القلوب في ذلك من الشبه

التي توقعها في انواع الضلالات فالكلام في باب التوحيد والصفات

هو من باب الخبر الدائر بين النفي والاثبات والكلام في الشرع والقدر

هو من باب الطلب والارادة الدائر بين الارادة والمحبة وبين الكراهة

والبغض نفيا واثباتا والانسان يجد في نفسه الفرق بين النفي

والاثبات والتصديق والتكذيب وبين الحب والبغض والرضى

والمنع حتى ان الفرق بين هذا النوع وبين النوع الاخر معروف
عند العامة والخاصة معروف عند اصناف المتكلمين في العلم كما
ذكر الفقهاء ذلك في كتاب الايمان وذكر المتكلمون للكلام من
اهل النظر والنحو والبيان فذكروا ان الكلام نوعان خبر وانشاء
والخبر دايرين النفي والاثبات والانشاء امر او نهي او اباحة
واذا كان كذلك فلابد للعبد ان يثبت لله ما يجب اثباته له من صفات
الكمال وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال
ولابد له في احكامه من ان يثبت خلقه وامره فيؤمن بخلقه
المتضمن كمال قدرته وعموم مشيئته ويثبت امره المتضمن
بيان ما يحبه ويرضاه من القول والعمل ويؤمن بشرعه وقدره
ايمانا خاليا من الزلل وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده
لا شريك له وهو التوحيد في القصد والارادة والعمل والاول
يتضمن التوحيد في العلم والقول كما دلت على هذا سورة قل
هو الله احد ودلت على الاخر سورة قل يا ايها الكافرون
وهما سورتا الاخلاص وبهما كان يقرأ صلى الله عليه وسلم بعد
الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغيرهما فاما الاول
وهو التوحيد في الصفات فالاصل في هذا الباب ان وصف الله

الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفيا واثباتا
فيثبت لله تعالى ما اثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم
ان طريقة سلف الامة واعيتها اثبات ما اثبته لنفسه من الصفات
من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وذلك ينفون عنه
ما نفاه عن نفسه مع ما اثبته من الصفات من غير الحاد لا في
اسمايه ولا في الياته فان الله ذم الذين يلحدون في اسمايه
وآياته كما قال تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين
يلحدون في اسمايه سيجزون ما كانوا يعملون وقال تعالى ان
الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير امن ياتي
امنا يوم القيمة اعملوا ما شيتم انه بما تعملون بصير فطريقتهم تتضمن
اثبات الاسما والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات اثباتا بلا تشبيه
وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى ليس كمثله شي وهو السميع البصير
ففي قوله ليس كمثله شي رد للتشبيه والتمثيل وقوله وهو
السميع البصير رد للالحاد والتعطيل والله سبحانه وتعالى
بعث رسله باثبات مفصل ونفي مجمل فاثبتوا له الصفات على
وجه التفصيل ونفوا عنه ما يضاد له من التشبيه والتمثيل كما قال
تعالى فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا قال

أهل اللغة هل تعلم له سميا اى نظيرا يستحق اسمه ويقال
مسامیا یسامیه وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس هل تعلم له
مثلا أو يشبهه وقال تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
أحد وقال تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وقال
تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين
آمنوا أشد حبا لله وقال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن
وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون
بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم وقال تعالى تبارك
الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له
ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك
وقال تعالى فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون الى قوله الا
عباد الله المخلصين الى قوله سبحان ربك رب العزة عما
يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين فسبح نفسه
عما يصفه المفترون المشركون وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه
من الافك والشرك وحمد نفسه سبحانه اذ هو المستحق لما له من
الاسماء والصفات بديع المخلوقات وأما الاثبات

للمحمد

المفصل فانه ذكر من اسمائه وصفاته ما انزله في محكم آياته كقوله
الله لا اله الا هو الحي القيوم الآية بكمالها وقوله قل هو الله احد
الله الصمد السورة وقوله وهو العليم الحكيم وهو العلي القدير
وهو السميع البصير وهو العزيز الحكيم وهو الغفور الرحيم
وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد وهو الاول
والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم هو الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على
العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج
فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وقوله فسوف يأتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه وقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه
وقوله ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه
فاحبط اعمالهم وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما
وقوله ان الذين كفروا تناديون لمقت الله اكبر من
مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون وقوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر وقوله
ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها

قالنا أتيناطايعين وقوله وكلم الله موسى تكليما وقوله ونادينا من
جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا وقوله ويوم يناديهم فيقول أين
شركائي الذين كنتم تزعمون وقوله انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له
كن فيكون وقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون
هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في
السموات والأرض وهو العزيز الحكيم الى أمثال هذه الآيات
والاحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في أسماء الرب
تعالى وصفاته فان ذلك من اثبات ذاته وصفاته على وجه
التفصيل واثبات وحدانيته بنفي التمثيل مما هدى الله به عباده
الى سواء السبيل فهذه طريقة الرسل صلى الله عليهم أجمعين
وأما من نازع وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين
أوتوا الكتاب ومن دخل في هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة
والجهمية والقرامطة الباطنية ونحوهم فانهم على ضد
ذلك فانهم يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل
ولا يثبتون الا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل
وانما يرجع الى وجود في الاذهان يمتنع تحققه في الاعيان

قولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل فانهم يمثلونه بالممتنعات
والمعدومات والجمادات ويعطلون الاسماء والصفات تعطيل
الباطنية للذات فغايتهم يسلبون عنه النقيضين فيقولون لا
موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا جاهل ولا عالم لانهم
بزعمهم اذا وصفوه بالاثبات شبهوه بالموجودات واذا وصفوه
بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين وهذا ممتنع في بداية
العقول وحرفوا ما انزل الله تعالى من الكتب وما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم ووقعوا في شر مما فروا منه فانهم شبهوه
بالممتنعات اذ سلب النقيضين يجمع النقيضين كلاهما من
الممتنعات وقد علم بالاضطرار ان الوجود لابد له من موجد
قديم واجب غني بذاته عما سواه ازلي لا يجوز عليه الحدوث قديم
ولا العدم فوصفوه بما يمتنع وجوده فضلا عن الوجوب او
الوجود او العدم وقابلهم طائفة من الفلاسفة واتباعهم
فوصفوه بالسلوب والاضافات دون صفات الاثبات
وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق وقد علم بصريح العقل
ان هذا لا يكون الا في الذهن لا فيما خرج عنه من الموجودات
وجعلوا الصفة هي الموصوف فجعلوا العلم عين العالم مكابرة

لمقتضا البديهيات وجعلوا هذه الصفة هي الاخرى فلم يميزوا
بين العلم والقدرة والمشية جحدا للمعلوم الضروريات
وقارنهم طائفة ثالثة من أهل الكلام من المعتزلة ومن تبعهم
فاثبتوا له الاسماء دون ما تضمنته من الصفات فنفوا مرجع العلم
والقدير والسميع والبصير كالاعلام المحضة المترادفات
ومنهم من قال عليم بلا علم قدير بلا قدرة سميع بلا سمع
بصير بلا بصر فاثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات
والكلام على فساد مقالتهم وبيان تناقضها بصريح
المعقول المطابق للصحيح المنقول مذكور في غير هذا من
الكلام وهاؤلاء جميعهم يفرون من شيء ويقعون في
نظيره وفي شر منه مع ما يلزمهم من التحريفات والتعطيلات
ولو امعنوا النظر لسووا بين المتماثلات وفرقوا بين المختلفات
كما يقتضيه المعقولات ولكانوا من الذين اوتوا العلم الذين
يرون ان ما انزل الله الى الرسول هو الحق من ربه ويهدي الى
صراط العزيز الحميد لكنهم من أهل المجهولات المشبهة بالمعقولات
يتفيسطون في العقليات ويقرمطون في السمعيات وذلك
انه قد علم بضرورة العقل انه لابد من وجود قديم غني عما سواه

اذ نحن نشاهد حدوث المحدثات كالحيوان والمعدن والنبات
والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع وقد علم بالاضطرار ان
المحدث لا بد له من محدث والممكن لا بد له من واجب كما قال تعالى
ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون فاذا لم يكونوا خالقين
خلقهم من غير الخالق ولا هم الخالقون لانفسهم تعين ان لهم خالقا واذا
كان المعلوم بالضرورة ان في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه
وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم فمعلوم ان هذا
موجود وهذا موجود ولا يلزم من ائتلافهما في مسمى الوجود ان
يكون وجود هذا مثل وجود هذا بل وجود هذا يخصه
ووجود هذا يخصه وائتلافهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما
في مسمى ذلك الاسم عند الاضافة والتقييد والتخصيص ولا
لان في غيره فلا يقول عاقل اذا قيل العرش شيء موجود وان
البعوض شيء موجود ان هذا مثل هذا لائتلافهما في مسمى الشيء
والوجود لانه ليس في الخارج شيء موجود غير هما يشتركان
فيه بل الذهن يأخذ معنى مشتركا فيما هو مسمى الاسم المطلق
واذا قيل هذا موجود وهذا موجود فوجود كل منهما يخصه
لا شركة في غيره مع ان الاسم حقيقة في كل منهما ولهذا سمي

الله نفسه باسماء وصفاته باسماء وكانت تلك الاسماء مختصة به
اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض مخلوقاته
باسماء مختصة بهم مضافة اليهم توافق تلك الاسماء اذا قطعت
عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل
مسماهما واتحاده عند الاطلاق والتجريد عن الاضافة
والتخصيص اتفاقهما وتماثل المسمى عند الاضافة والتخصيص
فضلا عن ان يتحد مسماها عند الاضافة والتخصيص فقد سمى الله
نفسه حيا فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم وسمى
بعض عباده حيا فقال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي وليس هذا الحي مثل هذا الحي لان قوله الحي القيوم
اسم الله مختص به وقوله يخرج الحي من الميت اسم للحي
المخلوق مختص به وانما يتفقان اذا اطلقا وجردا عن التخصيص
ولكن ليس المطلق مسمى موجودا في الخارج ولكن العقل يفهم من
المطلق قدرا مشتركا بين المسميين عند الاختصاص
بعد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق ولا بد من هذا في جميع
اسماء الله وصفاته نعم منها ما دل عليه الاسم بالمواطاة والاتفاق
وما دل عليه بالاضافة والاختصاص المانعة من مشاركة

المخلوق للخالق في شيء من خصايصه سبحانه وتعالى وكذلك سمى الله
نفسه عليما حليما وسمى بعض عباده عليما فقال وبشروه
بغلام حليم يعني اسمعيل وليس العليم كالعليم ولا الحليم كالحليم
وسمى نفسه سميعا بصيرا فقال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما
يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا وسمى بعض خلقه
بصيرا فقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه
سميعا بصيرا وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير
وسمى نفسه بالروف الرحيم فقال ان الله بالناس لروف رحيم
وسمى بعض عباده بالروف الرحيم فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم وليس الروف
كالروف ولا الرحيم كالرحيم وسمى نفسه بالملك فقال الملك
القدوس وسمى بعض عباده بالملك فقال وكان وراءهم ملك ياخذ كل
سفينة غصبا وقال الملك اينوني به وليس الملك كالملك
وسمى نفسه بالمومن فقال المومن المهيمن وسمى بعض عباده بالمومن فقال
افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون وليس المومن كالمومن
وسمى نفسه بالعزيز فقال العزيز الجبار المتكبر وسمى بعض عباده

بالعزيز فقال وقالت امرأة العزيز والليس العزيز هو
كالعزيز وسمى نفسه الجبار المتكبر وسمى بعض خلقه بالجبار
المتكبر فقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وليس
الجبار كالجبار ولا المتكبر كالمتكبر ونظير هذا متعدد وكذلك
سمى صفاته بأسماء وسمى صفات عباده بنظير ذلك فقال ولا
يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقال ان الله هو الرزاق ذو
القوة المتين وقال أولم يروا ان الله هو الذي خلقهم
هو أشد منهم قوة وسمى صفة المخلوق علما وقوة فقال
وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال وفوق كل ذي علم عليم
وقال فرحوا بما عندهم من العلم وقال الله الذي
خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد
قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وقال ويزدكم قوة الى
قوتكم وقال والسماء بنيناها بأيد اي بقوة وقال
تعالى واذكر عبدنا داود ذا الأيد اي ذا القوة وليس العلم
كالعلم ولا القوة كالقوة وكذلك وصف نفسه بالمشيئة ووصف
عبده بالمشيئة فقال لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن
الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما ووصف نفسه بالارادة وعبده

كذلك

بالارادة وعبده بالارادة فقال تريدون عرض الدنيا والله يريد
الاخرة والله عزيز حكيم ووصف نفسه بالمحبة وعبده بالمحبة
فقال فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقال قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ووصف نفسه بالرضى ووصف
عبده بالرضى فقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ومعلوم ان
مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد ولا ارادته مثل
ارادته ولا محبته مثل محبته ولا رضاه مثل رضاه وكذلك وصف
نفسه بانه يمقت الكفار ووصفهم فقال ان الذين كفروا
ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى
الايمان فتكفرون وليس المقت مثل المقت وهكذا وصف
نفسه بالمكر والكيد كما وصف عبده فقال ويمكرون ويمكر الله
وقال انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا وليس للمكر كالمكر
ولا الكيد كالكيد ووصف نفسه بالعمل فقال وانه لهم انا خلقنا
لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون ووصف عبده
بالعمل فقال جزاء بما كانوا يعملون وليس العمل كالعمل ووصف نفسه
بالمناداة والمناجاة في قوله ونادينا من جانب الطور الايمن
وقربناه نجيا وقوله ويوم يناديهم وقوله وناداهما ربهما ووصف

عباده بالمناداة والمناجاة فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون وقال واذا ناجيتم الرسول وقال اذا تناجيتم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان وليس النداء كالمناداة ولا المناجاة
كالمناجاة ووصف نفسه بالتكليم في قوله وكلم الله موسى
تكليما وقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه وقوله
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ووصف
عبده بالتكليم في مثل قوله وقال الملك ايتوني به فلما كلمه
قال انك اليوم لدينا مكين امين ووصف نفسه بالتبيئة ووصف
بعض الخلق بالتبيئة فقال واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا
فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض
فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير وليس
الانباء كالانباء ووصف نفسه بالتعليم فقال الرحمن علم القرآن
خلق الانسان علمه البيان ووصف عبده بالتعليم فقال
تعلمونهن مما علمكم الله ولقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة وليس
التعليم كالتعليم ووصف نفسه بالغضب فقال وغضب الله عليهم
ولعنهم ووصف عبده بالغضب فقال لموسى عليه السلام

الى قوم غضبان اسفا وليس الغضب كالغضب ووصف نفسه
بانه استوى على عرشه فذكر في سبع مواضع في كتابه انه استوى
على العرش ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره في مثل قوله مطلب
ليستووا على ظهوره وقوله فاذا استويت انت ومن
معك على الفلك وقوله واستوت على الجودي وليس
الاستواء كالاستواء ووصف نفسه ببسط اليدين فقال وقالت
اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل
يداه مبسوطتان ينفق كيف شاء ووصف بعض خلقه ببسط اليد
في قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وليس اليد كاليد ولا البسط كالبسط واذا كان
المراد بالبسط الاعطاء والجود فليس اعطاء الله كاعطاء خلقه
ولا جوده كجودهم ونظائر هذا كثير فلا بد من اثبات ما اثبته
الله لنفسه ونفي مماثلته لخلقه فمن قال ليس لله علم ولا قدرة مطلب
ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا ينادي ولا يناجي ولا
استوى كان معطلا جاحدا ممثلا لله بالمعدومات والجمادات
ومن قال علمه كعلمي او قدرته كقوتي او رحمته كرحمتي او رضاه كرضاي
او يده كيدي او استواؤه كاستوائي كان مشبها ممثلا لله بالحيوانات

بد

بل لا بد من اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل وبين هذا بأصلين
شريفين وتمثيلين مضروبين ولله المثل الأعلى وبحاتمة جامعة

فصل

فصل فاما الاصلان فاحدهما ان يقال القول في بعض الصفات
كالقول في بعض فان المخاطب ممن يقر بان الله حي عليم
بعلم قادر بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد
بارادة ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته ورضاه وغضبه
وكراهته ويجعل ذلك مجازا وليس معه الا بالارادة واما بعض
المخلوقات من الغضب والعقوبة فقيل له لا فرق
بين ما اثبته وبين ما نفيته بل القول في احدهما كالقول في الاخر
الاخر فان قلت ان ارادته مثل ارادة المخلوقين
وكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل وان قلت قال
له ارادة تليق به كما ان للمخلوق ارادة تليق به قيل له وكذلك له
محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به وله رضى وغضب يليق به
وللمخلوق رضى وغضب يليق به وان قال الغضب غليان دم
القلب لطلب الانتقام قيل له والارادة ميل النفس الى جلب منفعة
او دفع مضرة فان قلت قال هذه ارادة المخلوق قيل له
لك وهذا غضب المخلوق وكذلك يلزم بالقول في كلامه وسمعه وبصره

وعلمه وقدرته ان تنفي عنه الغضب والمحبة والرضى ونحو
ذلك مما هو من خصايص المخلوقين فهذا استفاء عن السمع
والبصر والكلام وجميع الصفات وان قال انه لا حقيقة لهذا
الا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه قيل له وهكذا السمع
والبصر والكلام والعلم والقدرة وهذا المفرق بين بعض
الصفات وبعض يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمن نازعه فيما
اثبته فاذا قال له المعتزلي ليس له ارادة ولا كلام قايم به
لان هذه الصفات لا تقوم الا بالمخلوق فانه يبين للمعتزلي
ان هذه الصفات يتصف بها القديم وكما تكون الصفات من
المحدثات وهكذا يقول له المتزلي لساير الصفات من
المحبة والرضى ونحو ذلك فان قال المعتزلي تلك الصفات
اثبتها بالعقل لان الفعل المحكم دل على القدرة والتخصيص
دل على الارادة والاحكام دل على العلم وهذه الصفات
مستلزمة للحيوة والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام
او ضدها قيل له سايرا هل الاثبات لك جوابان
احدهما ان يقال عدم الدليل المعين فيجب ان ما سلكته من
الدليل العقلي لا يثبت ذلك فانه لا يفيده فليس لك ان تنفيه بغير
دليل

احدهما

دليل لا ان لنا فى عليه الدليل دال على المثبت والسمع قد دل عليه ولم يعارض
ذلك معارض عقلى ولا سمعى فيجب اثبات ما اثبته الدليل السالم عن
المعارض المقاوم الثانى ان يقال يمكن اثبات هذه الصفات
بنظير ما اثبت تلك من العقليات فيقال انفع العباد بالاحسان
اليهم يدل على الرحمة كدلالة التخصيص على المشية والكرام
والطايعين يدل على محبتهم وعقاب الكفار يدل على بغضهم كما
قد ثبت بالشهادة والخبر من اكرام اوليايه وعقاب اعدايه
والغايات الموجوة فى مفعولاته ومامورات وهى ما
تنتهى اليه مفعولاته ومامورات من العواقب الحميدة
تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على المشية
او اولى لقوة العلة الغايية ولهذا كان ما فى القرآن من بيان
ما فى مخلوقاته من النعم والحكم اعظم بما فى القرآن من بيان
ما فيها من الدلالة على محض المشية وان كان المخاطب ممن
ينكر الصفات ويقر بالاسماء كالمعتزلى الذى يقول انه
حى عليم قدير وينكر ان يتصف بالحيوة والعلم والقدرة
قيل له لا فرق بين اثبات الاسماء وبين اثبات الصفات
فانك ان قلت اثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضى

تشبيها او تجنيسا لانا لا نجد في الشاهد متصفا بالصفات
الا ما هو جسم وقيل لك لا نجد في الشاهد ما هو سمي انه حي عليم
قدير الا ما هو جسم فان نفيت ما نفيت لكونك لم تجد الا الجسم
فانف الاسماء وكل شيء لانك لا تجد في الشاهد الا الجسم
فكل ما تحتج به من نفي الصفات يحتج به في الاسماء الحسنى
فاما كان جوابا لك كان جوابا لمثبتي الصفات وان كان
المخاطب من الغلاة نفاة الاسماء والصفات وقال لا اقول
هو موجود ولا حي ولا عليم ولا قادر بل هذه الاسماء لخلقه
او هي مجاز فان اثبات ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحي
العليم قيل له وكذلك اذا قلت ليس بموجود ولا حي ولا عليم
ولا قدير كان ذلك تشبيها بالمعدومات وذلك اقبح من التشبيه
بالموجودات فان قال انا انفي النفي والاثبات قيل له
فيلزمك التشبيه بما اجتمع فيه النقيضان من الممتنعات
فانه يمتنع ان يكون الشيء موجودا معدوما او لا موجودا
ولا معدوما ويمتنع ان يوصف باجتماع الوجود والعدم
ونفي الحياة والموت ونفي العلم والجهل فان قلت انما
يمتنع في النقيضين عما يكون قابلا لهما وهذان ليسا بقابلين للعدم

والملكة

والملكة لا تقابل السلب والايجاب فان العدل لا يقال له اعمى
ولا بصير ولا حي ولا ميت اذ ليس تقابلها قبل ذلك او لا هذا اصطلاح
اصطلح عليه المتفلسفة المتأخرون والاصطلاحات اللفظية
ليست دليلا في الحقايق العقلية وقد قال تعالى والذين يدعون
من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما
يشعرون ايان يبعثون فسمى الجماد ميتا وهذا مشهور
في لغة العرب وغيرهم وقل لك شيئا لا يقبل الاتصاف
بالحياة والموت والعمى والبصر ونحو ذلك من المتقابلات
اقص مما يقبل ذلك فالاعمى الذي يقبل الاتصاف بالبصر اكمل
من الجماد الذي لا يقبل واحدا منهما فاذا قورن من يشبهه
بالحيوان في القابلة لصفات الكمال ووصفته بصفات
الجمادات التي لا تقبل ذلك وايضا فما لا يقبل الوجود والعدم
اعظم امتناعا عما من القابل للوجود والعدم وقد نفيهما جميعا
وقيل له ايضا اتفاق المسميين في بعض الاسماء والصفات
ليس هو التشبيه والتمثيل الذي نفته الادلة السمعيات
والعقليات وانما نفت ما يستلزم اشتراكهما فيما
يختص به الخالق مما يختص بوجوده او جوازه او امتناعه

فلا يجوز ان يشركه فيه مخلوق ولا يشركه المخلوق في شيء من
خصايصه سبحانه وتعالى واما ما نفيته فهو ثابت بالشرع
والعقل وتسميتك ذلك تشبيها وتجسيما تمويه على الجهال الذين
يظنون ان كل معنى سماه مسمى هذا الاسم يجب نفيه ولو
ساغ هذا لكان كل مبطل يسمي الحق باسماء ينفر عنها بعض
الناس ليكذب الناس بالحق المعلوم بالسمع والعقل
وهذه الطريق افسدت الملاحدة على طوايف من الناس
عقولهم ودينهم حتى اخرجوهم الى اعظم الكفر والجهالة
وابلغ الغي والضلالة وان قالوا انما اثبتنا الصفات الثلاث
العلم والقدرة والارادة يستلزم تعدد الصفات
وهذا تركيب ممتنع قيل واذا قلتم هو موجود واجب
وعقل وعاقل ومعقول فليس المفهوم من هذا هو
المفهوم من هذا وهذه معان متغايرة في العقل
وهذا تركيب قالوا هذا توجيد في الحقيقة
وليس هذا تركيبا ممتنعا قيل لهم واتصاف الذات
بالصفات اللازمة لها توجد في الحقيقة وليس هذا
تركيبا ممتنعا وهذا باب مطرد فان كل واحد من النفاة

لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفات لا
ينفي شيئا قدرا مما هو محذور الا وقد اثبت له ما يلزمه فيه
نظير ما نفى منه فلا بد في اخر الامر من اثبات موجودا
واجبا قديما متصفا بصفات تميز عن غيره ولا يكون
فيها مماثلا لخلقه فيقال له هذا القول في جميع الصفا
وكل ما يثبته من الاسماء والصفات فلا بد ان يشترك في
قدر تتواطا فيه المسميات ولولا ذلك لما فهم الخطاب
ولكن نعلم ان ما اختص الله به وامتاز عن خلقه اعظم
مما يخطر بالبال ويدور في الخيال وهذا يتبين بالاصل
الثاني وهو ان يقال القول في الصفات كالقول
في الذات فان الله ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته
ولا في افعاله فاذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات
فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات
المخلوقات فاذا قال السائل كيف استوى على
العرش قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما الاستوا
معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسوال
عن الكيفية بدعة لانه سوال عما لا يعلمه البشر ولا يكنهم

مشترك

مطلب

الاستوى

تحول الا
الامام مال

الاجابة عنه وكذلك اذا قال كيف ينزل ربنا الى سماء الدنيا
قيل له كيف هو فاذا قال انا لا اعلم كيفيته قيل له ونحن
لا نعلم كيفية نزوله اذ العلم بكيفية الصفة يستلزم النزول
العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له فكيف تطالبني
بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه
ونزوله وانت لا تعلم كيفية ذاته واذا كنت تقر بان له
حقيقة ثابتة في نفس الامر مستوجبة لصفات الكمال
لا يماثلها شيء في سمعه وبصره وكلامه ونزوله واستوائه
هو ثابت في نفس الامر وهو متصف بصفات الكمال التي
لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم
واستواؤهم وهذا الكلام لازم لهم في العقليات
وفي تاويل السمعيات فان من اثبت شيئا ونفى شيئا
بالعقل الزم فيما نفاه من الصفات التي جاء بها الكتاب
والسنة نظير ما يلزمه فيما اثبته ولو طولب بالفرق بين
المحذور في هذا وهذا لم يجد بينهما فرقا ولهذا لا يوجد
انفاة بعض الصفات دون بعض الذين يوجبون فيها نفوه
اما التفويض واما التاويل المخالف لمقتضى اللفظ قانون

النزول

اذاء

مستقيم

مستقيم فاذا قيل لهم ولم هذا واقررتم هذا والسؤال
فيهما واحد لم يكن لهم جواب صحيح فهذا يناقضهم في النفي
وكذلك يناقضهم في الاثبات فان من تاول النصوص على
معنى من المعاني التي يثبتها فانهم اذا صرفوا النص من
المعنى الذي هو مقتضاه الى معنى آخر لزمهم في المعنى
المصروف اليه ما كان يلزم في المعنى المصروف عنه فاذا
قال قيل تاويل محبته ورضاه وغضبه وسخطه هو
ارادته للثواب والعقاب كان ما يلزمه في الارادة نظير
ما يلزمه في المحبة والمقت والرضى والسخط ولو فسر
ذلك بمفعولاته وهو ما يخلقه من الثواب والعقاب
فانه يلزمه في ذلك نظير ما قرر منه فان الفعل المعقول
لابد ان يقوم اولا بالفاعل والثواب والعقاب المعقول
انما يكون على فعل ما يحبه ويرضاه او يسخطه ويبغضه
المثيب المعاقب فهم ان ابوا واما المثلان المضروبان
فان الله سبحانه وتعالى اخبرنا عما في الجنة من المخلوقات
من اصناف المطاعم والملابس والمناكح والمساكن فاخبرنا
ان فيها لبنا وعسلا وخمرا وماء وحميما وفاكهة وحريرا وذهبا

المثلان

مثلوا على مثل الموجود في الدنيا هذا هو المعقول في هذه الصفات فمن
النفاة من يقول ان الشيء اذا خالف شيئا في بعض الصفات فلابد ان

ونضة وحورا وقصورا وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
ليس في الدنيا شئ مما في الجنة الا الاسماء فاذا كانت تلك الحقايق
التي اخبر الله عنها هي موافقة في الاسماء للحقايق الموجودة
في الدنيا وليست مماثلة لها بل بينهما من التباين ما لا يعلمه الا الله
فالخالق سبحانه وتعالى اعظم مباينة للمخلوقات من مباينة
المخلوق للمخلوق ومباينته لمخلوقاته اعظم من مباينة
موجود الاخرة لموجود الدنيا اذ المخلوق اقرب الى
المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق الى المخلوق وهذا
بين واضح ولهذا افترق الناس في هذا المقام ثلث
فرق فالسلف والائمة واتباعهم امنوا بما اخبر الله به
عن نفسه وعن اليوم الاخر مع علمهم بالمباينة التي
بين ما في الدنيا وبين ما في الاخرة وان مباينة الله لخلقه
اعظم والله سبحانه وتعالى لا تضرب له الامثال حتى التي
فيها مماثلة لخلقه فان الله لا مثل له بل له المثل الاعلى فلا
يجوز ان يشترك هو والمخلوق من كل كمال فالخالق اولى
به وكل ما نزه عنه المخلوق من نقص فالخالق اولى
بالتنزيه عنه فاذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق

مع الموافقة في الاسم فالخالق اول ان ينزه عن مماثله
المخلوق وان حصل موافقة في الاسم وهكذا القول
في المثل الثاني وهو الروح التي فينا فانها وصفت
صفات لثبوتيه وسلبيه وقد اخبرت النصوص انها تخرج
وتصعد من سماء الى سماء وانها تقبض من البدن وتسل
منه كما تسل الشعرة من العجين والناس مضطربون فيها
فمنهم طوايف من اهل الكلام يجعلونها جزءا من البدن
او صفة من صفاته كقول بعضهم انها النفس او الريح
التي تتردد في البدن وقول بعضهم انها الحياة او المزاج
او نفس البدن ومنهم طوايف من اهل الفلسفة يصفونها
بما يصفون به واجب الوجود وهي امور لا يتصف بها
الا الممتنع الوجود ويقولون لا هي داخل البدن ولا خارجه
ولا مباينة له ولا متداخلة ولا متحركة ولا ساكنة
ولا تصعد ولا تهبط ولا تجتمع ولا تفترق وقد يقولون انها لا
تدرك الامور المعينة والحقايق الموجودة في الخارج
وانما تدرك الامور الكلية المطلقة وقد يقولون
انها لا داخل العلم ولا خارجه ولا مباينة له ولا متداخلة

ومنهم قالوا ليست داخلة في أجسام العالم ولا خارجة عنها
مع تقسيمهم للجسم بما يقبل الاشارة الحسية فيصفونها
بانه لا يمكن الاشارة اليها ونحو ذلك من الصفات السلبية التي
يلحقها بالمعدوم والممتنع واذا قيل لهم اثبات مثل هذا
ممتنع في ضرورة العقل قالوا بل هذا يمكن بدليل ان
الكليات موجودة وهي غير مشار اليها وقد علموا ان كون
الكليات لا توجد كلية الا في الاذهان لا في الاعيان
فيعتمدون فيما يقولونه في المبدا والمعاد على مثل هذا
الخيال الذي لا يخفى فساده على غالب الجهال واصطراب
الفلاسفة والمتبعة في الروح كثير وسبب ذلك ان الروح
التي تسمى بالنفس الناطقة عند الفلاسفة ليست هي
من جنس هذا البدن ولا من جنس العناصر والمتولدات
منها بل هي من جنس اخر مخالف هذه الاجناس فصار
هؤلاء لا يعرفونها الا بالاسلوب الذي يوجب مخالفتها
للاجسام المشهودة واوليك يجعلونها من جنس الاجسام
المشهودة وكلا القولين خطا واطلاق القولين عليها
بانها جسم او ليست بجسم يحتاج الى تفصيل فان لفظ

الجسم للناس فيه اقوال متعددة اصطلاحية غير معناه
اللغوي فاهل اللغة يقولون الجسم هو الجسد والبدن
وبهذا الاعتبار فالروح ليست جسما وهذا يقولون الروح
والجسم كما قال تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع
لقولهم وزاده بسطة في العلم والجسم واما اهل الكلام
فمنهم من يقول الجسم هو الموجود ومنهم من يقول هو المركب
من الجواهر المنفردة ومنهم من يقول هو المركب من المادة
والصورة ومنهم من يقول ليس بمركب لا من هذا ولا من هذا
بل هو ما يشار اليه ويقال انه هنا او هناك فعلى هذا
اذا كانت الروح مما يشار اليه ويتبعه بصر الميت كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الروح اذا خرج تبعه البصر
وانها تقبض وتعرج بها الى السماء كانت الروح جسما بهذا
الاصطلاح والمقصود ان الروح اذا كانت موجودة حية
عالمة قادرة سميعة بصيرة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء
ونحو ذلك من الصفات المعقولة قاصرة عن تكييفها وتحديدها
لانهم لم يشاهدوا لها نظيرا والشيء انما يدرك حقيقته اما
بمشاهدته او بمشاهدة نظيره فاذا كانت الروح متصفة بهذه

مطلب

الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات
فالخالق اولى بعدم مماثلته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه
من اسمائه وصفاته واهل العقول اعجز ان يحدوه او يكيفوه
منهم عن ان يحدوا الروح او يكيفوه فاذا كان من نفى
صفات الروح جاحدا لها معطلا لها ومن مثلها بما شاهده
المخلوقات جاهلا ممثلا لها بغير شكلها وهى مع
ذلك ثابتة بحقيقة الاثبات مستحقة لما لها من الصفات
فللخالق سبحانه وتعالى اولى ان يكون من نفى صفاته
جاحدا معطلا ومن قاسه بخلقه جاهلا به ممثلا
وهو سبحانه وتعالى ثابت بحقيقة الاثبات مستحق لما له من الاسماء
والصفات

فصل

فصل واما الخاتمة الجامعة ففيها
قواعد نافعة القاعدة الاولى ان الله سبحانه
موصوف بالاثبات والنفى فالاثبات كاخباره انه بكل شئ
عليم وانه على كل شئ قدير وانه سميع بصير ونحو ذلك
والنفى كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم وينبغى ان تعلم ان
النفى ليس فيه مدح ولا كمال الا اذا تضمن اثباتا والا فمجرد
النفى ليس فيه مدح ولا كمال لان النفى المحض عدم محض والعدم

المحض ليس بشئ وما ليس بشئ هو كما قيل ليس بشئ فضلا
عن ان يكون مدحا او كمالا ولان النفي المحض يوصف به
المعدوم والممتنع والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال
فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي
متضمنا لاثبات مدح كقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم
لا تاخذه سنة ولا نوم الى قوله ولا يؤوده حفظهما وهو
منفي السنة والنوم يتضمن كمال الحيوة والقيام فهو متصف
بكمال الله الحي القيوم وكذلك قوله ولا يؤوده حفظهما اي لا
يكرثه ولا يثقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها
بخلاف المخلوق الذي اذا كان يقدر على الشئ بنوع
كلفة ومشقة فان هذا نقص في قدرته وعيب
في قوته وكذلك قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض فان نفي الغروب مستلزم لعلمه بكل
ذرة في السموات والارض وكذلك قوله تعالى ولقد
خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا
من لغوب فان نفي مس اللغوب الذي هو التعب والاعياء
دال على كمال القدرة ونهاية القوة بخلاف المخلوق الذي

يلحقه من التعب والكلال ما يلحقه وكذلك قوله لا تدركه
الابصار انما نفى الادراك الذى هو الاحاطه كما قاله
اكثر العلماء ولم ينف مجرد الرويه لان المعدوم لا يرى وليس
فى كونه لا يرى مدح اذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحا
وانما المدح فى كونه لا يحاط به وانه يرى كما انه لا يحاط به
ولا يعلم وكما انه اذا علم لا يحاط به علما فكذلك اذا راى
لا يحاط به رويه وكان فى نفى الادراك من اثبات عظمته ما
يكون مدحا وصفه كمال وكان ذلك دليلا على اثبات
الرويه لا على نفيها لكنه دليل على اثبات الرويه مع عدم
الاحاطه وهذا هو الحق الذى اتفق عليه سلف الامه
وائمتها واذا تاملت ذلك وجدت كل نفى لا يستلزم
ثبوتا لم يصف الله به نفسه فالذين لا يصفونه الا بسلوب
لم يثبتوا فى الحقيقه الها موجودا بل ولا موجودا وكذلك
من شاركهم فى بعض ذلك كالذين قالوا انه لا يتكلم ولا
يرى او ليس فوق العالم او لم يستو على العرش ويقولون
ان ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا مباين للعالم ولا
مباين له اذ هذه الصفات يمكن ان يوصف بها المعدوم

وليست هي ملزمة صفة ثبوت ولهذا قال محمود بن
سبكتكين لمن ادعى ذلك في الخالق مبين لنا بين هذا الرب
الذي تثبته وبين المعدوم وكذلك كونه لا يتكلم او لا ينزل
ليس في ذلك صفة مدح ولا كمال بل هذه الصفات التشبيه
له بالمنقوصات او المعدومات فهذه الصفات
منها ما لا يتصف به الا المعدوم ومنها ما لا يتصف به
الا الجماد او الناقص فمن قال لا هو مباين للعالم ولا مداخل
للعالم فهو بمنزلة من قال لا هو قايم بنفسه ولا بغير ه ولا قديم
ولا محدث ولا متقدم على العالم ولا متاخر له ومن قال
انه ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا متكلم لزمه ان
يكون ميتا اصم اعمى ابكم فان قال العمى عدم البصر عما
من شانه ان يقبل البصر وما لم يقبل البصر كالمحايط لا يقال
له اعمى ولا بصير قيل له هذا اصطلاح اصطلحتموه
والا فما يوصف بعدم الوجوه كالسمع والكلام يمكن وصفه
بالموت والعمى والخرس والعجمة وايضا فكل موجود يقبل
الاتصاف بهذه الامور ونقايضها فان الله قادر على جعل
الجماد حيا كما جعل عصى موسى حية تلقف الحبال والعصى

وايضا فالذى لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات اعظم نقصا
مما يقبل الاتصاف بها مع اتصافه بنقايضها فالجماد الذى
لا يوصف بالبصر ولا العمى ولا الكلام ولا الخرس اعظم
نقصا من الحى الاعمى الاخرس فاذا قيل ان البارى لا يمكن
اتصافه بذلك كان فى ذلك من وصفه بالنقص اعظم مما اذا وصف
بالخرس والعمى والصمم ونحو ذلك مع انه اذا جعل
غير قابل لهما كان تشبيها له بالجماد الذى لا يقبل
الاتصاف بواحد منهما وهذا تشبيه بالجمادات لا بالحيوانات
فكيف ينكر من قال ذلك على غيره ما يزعم انه تشبيه
بالحى وايضا فنفس نفى هذه الصفات نقص كما ان اثباتها
كمال فالجبوة من حيث هى هى مع قطع النظر عن تعيين
الموصوف بها صفة كمال وكذلك العلم والقدرة والسمع
والبصر والكلام والعقل ونحو ذلك وما كان صفة كمال
فهو سبحانه وتعالى احق بان يتصف به من المخلوق فلو لم
يتصف به مع اتصاف المخلوق فيه لكان المخلوق اكمل منه
واعلم ان الجهمية المحضة كالفلاسفة ومن ضاهاهم ينفون
عنه تعالى اتصافه بالنقيضين حتى يقولوا ليس بموجود

ولا ليس بموجود ولا حي ولا ليس بحي ومعلوم ان الخلو عن
النقيضين ممتنع في بداية العقول كالجمع بين النقيضين
واخرون وصفوه بالنفي فقط فقالوا ليس بحي ولا سميع ولا
سميع ولا بصير وهو لاء اعظم كفرا من اولئك من وجه
وهو لا اعظم كفرا من اولئك فلذا يقال لهم ولا هذا
يستلزم وصفه بنقيض ذلك كالموت والصمم والبكم
قالوا انما يلزم ذلك لو كان قابلا لذلك وهذا الاعتذار يزيد
قولهم فسادا وكذلك من ضاهاهم ولا ء وهم الذين
يقولون ليس بداخل العالم ولا خارجه اذا قيل هذا ممتنع
في ضرورة العقل كما اذا قيل ليس بقديم ولا محدث
ولا واجب ولا ممكن ولا قايم بنفسه ولا قايم بغيره قالوا هذا
انما يكون اذا كان قابلا لذلك والقبول انما يكون من المتحيز
فاذا انتفى التحيز انتفى قبول هذين المتناقضين ويقال
لهم علم الخلو بامتناع الخلو عن هذين النقيضين هو علم
مطلق لا يستثنى منه موجود والتحيز المذكور ان
اريد به كون الاحياز الموجودة تحيط به فهذا هو الداخل
في العالم وان اريد به انه منحاز عن المخلوقات اي مباين لها

صوا من وجه

لهم

منفيرٌ عنها وهذا هو الخروج فالمحيز يراد به تارة ما هو
داخل العالم وتارة ما هو خارج العالم فإذا قيل ليس بمحيز كان
معناه ليس بداخل العالم ولا خارجه وهم غيروا العبارة هم
ليوهموا من لا يفهم حقيقة قولهم أن هنا معنى آخر وهو المعنى
الذي علم فساده بضرورة العقل كما يعلم أولئك في قولهم ليس بحي
ولا ميت ولا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل وأيضا

القاعدة الثانية

القاعدة الثانية أن ما أخبر به الرسول عن
ربه فإنه يجب الإيمان به سواء عرفنا معناه أو لم نعرف لأنه
الصادق المصدوق فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل
مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه وكذلك ما ثبت باتفاق
سلف الأمة وأئمتها مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصا
في الكتاب والسنة متفقا عليه بين سلف الأمة وما ينازع فيه
المتأخرون نفيا وإثباتا فليس على أحد بل ولا له أن يوافق
أحدا على إثبات لفظ أو نفيه حتى يعرف مراده فإن أراد
حقا قبل وإن أراد باطلا رد وإن اشتمل كلامه على حق وباطل
لم يقبل مطلقا ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر
المعنى كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك فلفظ

الجهة

الجهة فقد اراد به شيئا موجودا غير الله فيكون مخلوقا كما
اذا اريد بالجهة نفس العرش او نفس السموات وقد يراد به
ما ليس بموجود غير الله كما اذا اريد بالجهة ما فوق العالم
ومعلوم انه ليس في النص اثبات لفظ الجهة ولا نفيه
كما فيه اثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج اليه
ونحو ذلك وقد علم انه ما ثم موجود الا الخالق او المخلوق
والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى ليس في مخلوقاته
شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته فيقال لمن نفى
ان يريد بالجهة انها شيء موجود مخلوق فالله ليس داخلا
في المخلوقات فان اريد بالجهة ما وراء العالم فلا ريب
ان الله فوق العالم باين من المخلوقات ولذلك يقال
لمن قال ان الله في جهة اتريد بذلك ان الله فوق العالم او تريد
به ان الله داخل في شيء من المخلوقات فان اردت الاول
فهو حق وان اردت الثاني فهو باطل كذلك لفظ
المتحيز ان اراد به ان الله تحويه المخلوقات فالله اعظم
واكبر بل قد وسع كرسيه السموات والارض وقد قال تعالى
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة

والسموات مطويات بيمينه وقد ثبت في الصحاح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال يقبض الله الارض ويطوي السموات
بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وفي حديث ابن عباس
ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن في يد
الرحمن الا كخردلة في يد احدكم وفي حديث اخر وانه
ليدحوها كما تدحوا الصبيان الكرة وان الارض بيد الله من خاتم
عن المخلوقات اي مباين لها منفصل عنها ليس حالا فيها فهو
سبحانه وتعالى فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه

القاعدة الثالثة

القاعدة الثالثة ٥ اذا قال القائل ظاهر النصوص
مراد او ظاهرها ليس بمراد فانه يقال لفظ الظاهر
فيه اجمال واشتراك فان كان القائل يعتقد ان ظاهرها
التمثيل بصفات المخلوقين او ما هو من خصائصهم فلا ريب
ان هذا غير مراد لكن السلف والائمة لم يكونوا يسمون
هذا ظاهرها ولا يجوز ان يكون ظاهر القرآن
والحديث كفرا وباطلا والله اعلم واحكم من ان يكون كلامه الذي
وصف به نفسه لا يظهر منه الا ما هو كفر واضلال
والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين تارة يجعلون
المعنى

المعنى الفاسد ظاهر اللفظ حتى جعلوه محتاجا الى تاويل
يخالف الظاهر ولا يكون كذلك وتارة يردون المعنى الحق الذى
هو ظاهر اللفظ لاعتقادهم انه باطل والاول قالوا
مطلب في قول ابن عبد جعت فلم نظفر في الحديث وفي الاثر
الاخر الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه وقبله
فكانما صافح الله وقبل يمينه وقوله وقلوب العباد بين
اصبعين من اصابع الرحمن فقالوا قد علم ان ليس في قلوبنا
اصابع الحق فيقال لهم لو اعطيتم النصوص حقها من الدلالة
لعلمتم انها لا تدل على الحق اما الواحد فقوله
الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه وقبله فكانما
صافح الله وقبل يمينه صريح في ان الحجر الاسود ليس صفة
لله ولا هو نفس يمينه لانه قال يمين الله في الارض وقال
فمن قبله وصافحه فكانما صافح الله وقبل يمينه ومعلوم
ان المشبه ليس هو المشبه به ففي نفس الحديث بيان
ان المستلم ليس مصافحا لله وانه ليس هو نفس يمينه فكيف
يجعل ظاهره كفرا وانه محتاج الى التاويل مع ان
هذا الحديث انما يعرف عن ابن عباس واما الحديث الاخر هو

في الصحيح مفسرا يقول الله عبدي جعت فلم تطعمني فيقول
رب كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدي
فلانا جاع فلو اطعمته لوجدت ذلك عندي عبدي مرضت
فلم تعدني فيقول رب كيف اعودك وانت رب العالمين فيقول اما
علمت ان عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده وهذا
نصه صريح في ان الله سبحانه لم يمرض ولم يجع ولكن مرض عبده
وجاع فجعل جوعه جوعه ومرضه مرضه مفسرا ذلك
بانك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي ولو عدته لوجدتني عنده
فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج الى تاويل واما قوله فلو يعلم
العابدين اصغرين من اصابع الرحمن فانه وليس في ظاهره
ان القلب متحيز بالاصبع ولا مباين لها ولا انها في جوفه ولا اني
اقول القائل هذا بين يدي ما يقتضي مباشرته بيده واذا قبل
السحاب المسخرة بين السماء والارض لم يعقل ان يكون ما بين
السموات والارض ونظير هذه النسبة وما شبه هذا
اذا ان جعل اللفظ نظيرا لما ليس مثله كما قيل في قوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فقيل لهم مثل قوله اولم
يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهذا ليس مثل
هذا لانه هنا اضاف الفعل الى الايدي فصار شبيها بقوله

بما كسبت أيديهم وهناك أضاف الفعل اليه فقال لما خلقت
ثم قال بيدي وايضا فان هنا ذكر نفسه الحق تعالى بصيغة
المفرد وفي اليدين ذكر لفظ التثنية كما في قوله بل يداه
مبسوطتان ينفق كيف يشاء وهناك أضاف اليدين الى صيغة الجمع
فصار كقولهم تجري بأعيننا وهذا في الجمع نظير قوله
بيده الملك وبيده الخير في المفرد فالله سبحانه وتعالى ذكر
نفسه تارة بصيغة المفرد مظهرا ومضمرا وتارة
بصيغة الجمع كقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا وامثال
ذلك ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط لان صيغة
الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه وربما تدل على
معاني اسمائه واما صيغة التثنية فتدل على العدد
المحصور وهو منزه عن ذلك فلو قال ما منعك ان
تسجد لما خلقت بيدي كان كقوله مما عملت
ايدينا وهو نظير قوله بيده الملك وبيده الخير ولو قال خلقت بيدك
بصيغة الافراد لكان مغايرا له فكيف اذا قال خلقت بيدك
بصيغة التثنية هذا مع دلالة الاحاديث المستفيضة
بل المتواترة واجماع السلف على مثل ما دل عليه القرآن

كما هو مبسوط في موضعه مثل قوله المقسطون عند الله
على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون
في حكمهم وأهليهم وما ولوا وامثال ذلك وان كان
القابل يعتقد ان ظاهر النصوص المتنازع في معناها مجتمع
ظاهر النصوص المتفق على معناها والظاهر هو المراد
في الجميع فان الله تعالى لما اخبر انه بكل شيء عليم وانه
على كل شيء قدير واتفق اهل السنة وائمة المسلمين على
ان هذا ظاهره وان ظاهر ذلك مراد كان من المعلوم انهم
لم يريدوا بهذا الظاهر ان يكون علمه كعلمنا وقدرته
كقدرتنا ولذلك لما اتفقوا على انه حي حقيقة عالم حقيقة
قادر حقيقة لم يكن مرادهم انه مثل المخلوق الذي
هو حي عليم قدير فكذلك اذا قالوا في قوله يحبهم ويحبونه
رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله ثم استوى على
العرش انه على ظاهره لم يقتض ذلك ان يكون ظاهره
استواء كاستواء المخلوق ولا حبا كحبه ولا رضى
كرضاه فان كان المستمع يظن ان ظاهر الصفات
مماثل صفات المخلوقين لزمه ان لا يكون شيء من ذلك ظاهرا اذ

مرادا وان كان يعتقد ان ظاهرها ما يليق بالخالق لم يكن
عليه نفي هذا الظاهر ونفي ان يكون مرادا لابدليل
هذا يدل على النفي وليس في العقل ولا السمع ما ينفي هذا
الا من جنس ما ينفي به سائر الصفات فيكون الكلام
في الجميع واحدا وبيان هذا ان صفاتنا منها ما هي
مطلب اعيان واجسام وهي الاعراض لنا كالوجه واليدين
ومنها ما هو معان واعراض وهي قايمة بنا كالسمع
والبصر والكلام والعلم والقدرة ثم من المعلوم ان
الرب لما وصف نفسه بانه حي عليم قدير لم يقل المسلمون
ان ظاهر هذا غير مراد لان مفهوم ذلك في حقه
مثل مفهومه في حقنا فكذلك لما وصف نفسه بانه خلق
آدم بيديه لم يوجب ذلك ان يكون ظاهره غير مراد
لان مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا بل صفة
الموصوف تناسبه فاذا كانت نفسه المقدسة ليست
مثل ذوات المخلوقين فصفاته كذاته ليست كصفات
المخلوقين ونسبة صفات المخلوق اليه كنسبة صفة
الخالق اليه وليس المنسوب كالمنسوب ولا المنسوب

اليه كالمنسوب اليه كما قال صلى الله عليه وسلم ترون
ربكم كما ترون الشمس والقمر فشبه الرؤية بالرؤية لا المرئي
بالمرئي وهذا يتبين بالقاعدة الرابعة وهو ان كثيرا
من الناس يتوهم في بعض الصفات او كثير منها او اكثرها
او كلها انها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد ان ينفي ذلك الذي
فهمه فيقع في اربعة انواع من المحاذير احدها كونه مثل
ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن ان مدلول
النصوص هو التمثيل الثاني انه اذا جعل ذلك هو مفهومها
وعطله بقيت النصوص بعد تعطيله عما دلت عليه من اثبات
الصفات اللائقة بالله فيبقى مع جنايته على النصوص
وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله حيث ظن ان الذي
يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل قد عطل ما اودع
الله ورسوله في كلامهما من اثبات الصفات لله والمعاني
الالهية اللائقة بجلال الله الثالث انه ينفي
تلك الصفات عن الله بغير علم فيكون معطلا لما يستحقه
الرب السادس انه يصف الرب بنقيض تلك الصفات
من صفات الاموات وابهاذات او صفات المعدومات

فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب ومثله
بالمفقودات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت
عليه من الصفات وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات
فيجمع في كلام الله بين التعطيل والتمثيل فيكون ملحدا
في اسماء الله وآياته مثال ذلك ان النصوص لما دلت
على وصف الله بالعلو والفوقية على المخلوقات
واستوائه على العرش فما علوه ومباينته للمخلوقات
فيعلم بالعقل الموافق للسمع ولما الاستواء على العرش
فطريق العلم به هو السمع وليس في الكتاب والسنة وصف
له بانه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباين له ولا مداخل
فيظن المتوهم انه اذا وصف بالاستواء على العرش
كان استواؤه كاستواء الانسان على ظهور الفلك والانعام
كقوله وسخر لكم من الفلك والانعام ما تركبون
لتستووا على ظهوره فتخيل انه اذا كان مستويا على
العرش محتاجا اليه كحاجة المستوي على الفلك والانعام
فلو اخرطت السفينة لسقط المستوي عليها ولو عثرت
الدابة لخر المستوي عليها فقياس هذا انه لو عدم العرش

لسقط الرب تبارك وتعالى ثم يريد زعمه ان ينفي هذا
فيقول ليس استواؤه بقعود ولا استقرار ولا يعلم
ان مسمى القعود والاستقرار يقال فيه ما يقال في
مسمى الاستواء فان كانت الحاجة داخلة في ذلك فلا فرق
بين الاستواء والقعود والاستقرار وليس هو بهذا
المعنى مستويا ولا مستقرا ولا قاعدا وان لم يدخل
في مسمى ذلك الا ما يدخل في مسمى الاستواء فاثبات احدهما
ونفي الاخر تحكم وقد علم ان بين مسمى الاستواء والاستقرار
والقعود فروقا معروفة ولكن المقصود هنا ان يعلم
خطأ من ينفي الشيء مع اثبات نظيره وكان هذا من الخطأ
من خطأه بمفهوم استوائه على العرش حيث ظن انه
مثل استواء الانسان على ظهور الانعام والفلك وليس في اللفظ
ما يدل على ذلك لانه اضاف الاستواء الى نفسه الكريمة
كما اضاف اليه سائر افعاله وصفاته فذكر انه خلق ثم استوى
كما ذكر انه قدر فهدى وانه ينبئ السماء بيده وكما ذكر انه
مع موسى وهرون يسمع ويرى وامثال ذلك فلم يذكر استوى
مطلقا يصلح للمخلوق ولا عاما يتناول المخلوق فكلم يذكر

مثل ذلك في سايرصفاته وانما ذكر استوا اضافه
الى نفسه الكريمه فلو قدر على رجل الممتنع انه هو مثل خلقه
تعالى عن ذلك لكان استواه مثل استوا خلقه فاما
اذا كان هو ليس مماثلا لخلقه بل قد علم ان الله الغني عن
الخلق وانه الخالق للعرش ولغيره وان كل ما سواه
مفتقر اليه وهو الغني عن كل ما سواه وهو لم يذكر
الا استوا يخصه ولم يذكر استوا بيتا ولا غيره
ولا يصلح له كما لم يذكر في علمه وقدرته ورويته وسمعه
وخلقه الا ما يختص به فكيف يجوز ان يتوهم انه اذا
كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه وانه لو سقط
العرش لخر من عليه سبحانه وتعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا هل هذا الا جهل محض وضلال
ممن فهم ذلك او ظنه او توهمه ظاهر اللفظ ومدلوله
او جوز ذلك على رب العالمين الغني عن الخلق بل لو قدر
ان جاهلا فهم مثل هذا او توهمه لبين له ان هذا
لا يجوز وانه لم يدل عليه اللفظ اصلا كما لم يدل على
نظايره في سايرما وصف به الرب نفسه فلما قال

الفرض

تعالى والسماء بنيناها بأيد هل يتوهم ان بناءه مثل بنا الآدمي
المحتاج الذي يحتاج الى زنبيل ومجارف واعوان وضرب
لبن وجبل طين ثم قد علم ان الله تعالى خلق العالم بعضه
فوق بعض ولم يجعل عاليه مفتقرا الى سافله فالهواء
فوق الارض وليس مفتقرا الى ان تحمله الارض والسحاب
ايضا فوق الارض وليس مفتقرا الى ان تحمله الارض
والسموات فوق الارض وليست مفتقرة الى حمل الارض
لها فالعلي الاعلى رب كل شيء ومليكه اذا كان فوق
جميع خلقه كيف يجب ان يكون محتاجا الى خلقه
او عرشه او كيف يستلزم علوه على خلقه هذا
الافتقار وهو ليس بمستلزم في المخلوقات وقد علم
ان ما ثبت للمخلوق من الغنى عن غيره فالخالق
سبحانه وتعالى احق به واولى وكذلك قوله امنتم
في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور من توهم
ان مقتضى هذه الآية ان يكون الله في داخل السموات
فهو جاهل ضال بالاتفاق وان كنا اذا قلنا ان الشمس
والقمر في السماء يقتضي ذلك فان حرف في متعلق بما قبله

وما بعده فهو بحسب المضاف والمضاف اليه فهذا يفرق بين
كون الشيء في المكان وكون الجسم في الحيز وكعن العرض في
الجسم وكون الوجه في المرآة وكون الكلام في الورق فان لكل
نوع من هذه الانواع خاصة يتميز بها عن غيره وان
كان حرف في مستعملا في ذلك فلو قال فليل العرش
في السماء او في الارض لقيل في السما ولو قيل الجنة في السماء
او في الارض لقيل الجنة في السما فلم يلزم من ذلك ان تكون
الجنة في السماء الى لم يلزم من ذلك ان يكون العرش داخل
السموات بل ولا الجنة وقد ثبت في الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سالتم الله الجنة
فاسلوه الفردوس فانها اعلى الجنة واوسط الجنة وسقفها
عرش الرحمن فهذه الجنة بسقفها الذي هو العرش
فوق الافلاك مع ان الجنة في السماء والسما يراد به العلو
سوا كان فوق الافلاك او تحتها قال الله تعالى فليمدد
بسبب الى السما وقال تعالى وانزلنا من السماء ماطهورا ولما
كان قد استقر في نفوس المخاطبين ان الله هو العلي
الاعلى ولله فوق كل شيء كان المفهوم من قوله في السماء انه

في العلو وان كان فوق كل شئ وكذلك الجارية لما قال
لها اين الله قالت في السماء انما اراد ت العلو مع عدم تخصيصه
بالاجسام المخلوقة وحلوله فيها واذا قبل العلو فانه
يتناول ما فوق المخلوقات كلها فما فوقها كلها هو في السماء ولا
يقتضي هذا ان يكون هناك ظرف وجودي يحيط به اذ
ليس فوق العالم شئ موجودا لا الله كما لو قبل العرش في
السماء فانه لا يقتضي ان يكون العرش في شئ اخر
موجود مخلوق وان اردا ان السما المراد بها الافلاك
كان المراد انه عليها كما قال ولاصلبنكم في جذوع النخل
وكما قال فسيروا في الارض وكما قال فسيحوا في الارض
وبقلال فلان في الجبل وفي السطح وان كان على اعلى
شئ فيه القاعدة الخامسة انا نعلم
ما اخبرنا به من وجه دون وجه فان الله تعالى قال افلا
يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا وقال افلم يدبروا القول وقال كتاب
انزلناه مبارك ليدبروا اياته وليذكر اولوا الالباب
وقال افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قد سر تدبر الكتاب كله وقد قال هو الذي أنزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات
فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله
والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا
وما يذكر إلا أولوا الألباب وجماهير سلف الأمة
وخلفها على أن الوقف عند قوله وما يعلم
تأويله إلا الله وهذا هو المأثور عن ابن كعب
وابن مسعود وابن عباس وغيرهم وروي عن ابن
عباس أنه قال التفسير على أربعة أوجه
تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر
أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه
إلا الله من ادعى علمه فهو كاذب وقد روي عن مجاهد
وطائفة أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله وقد قال
مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته
إلى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عن تفسيرها
ولا منافاة بين القولين عند أهل التحقيق فإن لفظ

التأويل قد صار بعد الاصطلاحات مستعملا في ثلثة
معان احدها وهو اصطلاح كثير من المتاخرين المتكلمين
في الفقه واصوله هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى
الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به وهذا هو الذي عناه
اكثر من تكلم من المتاخرين في تاويل نصوص الصفات
وترك تاويلها وهل ذلك محمود او مذموم وحق او باطل والثاني
ان التاويل بمعنى التفسير وهذا هو الغالب على اصطلاح
المفسرين للقرآن كما يقول ابن جرير وامثاله من المصنفين
في التفسير واختلف على التاويل ومجاهد امام المفسرين
فقال الثوري اذا جاء التفسير عن مجاهد فحسبك
به وعلى تفسيره يعتمد الشافعي والبخاري وغيرهما
فاذا ذكر انه يعلم تاويل المتشابه والمراد به معرفة
تفسيره الثالث من معاني التاويل هو الحقيقة التي
يؤول اليها الكلام فاقول تعالى هل ينظرون الا تاويله
يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل
ربنا بالحق فتاويل ما في القرآن من اخبار المعاد هو ما اخبر
الله تعالى فيه مما يكون يوم القيامة والحساب والجزاء

ان التاويل

صرف التاويل

والجنة والنار ونحو ذلك كما قال في قصة يوسف لما سجد
ابواه واخوته قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل فجعل عين ما
وجد في الخارج هو تاويل الرؤيا فالتاويل الثاني هو تفسير الكلام
وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه او
يعرف علته او دليله وهذا التاويل الثالث هو عين
ما هو موجود في الخارج ومنه قول عايشة كان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم
ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران يعني هو قوله فسبح
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقول سفيان عين السنة
هي تاويل الامر والنهي فان نفس الفعل المامور به هو
تاويل الامر به ونفس الموجود المخبر عنه هو تاويل
الخبر والكلام خبر وامر وهذا يقول ابو عبيد
وغيره الفقها اعلم بالتاويل من اهل اللغة كما ذكروا
ذلك في تفسير اشتمال الصماء ان الفقها يعلمون نفس ما امر
به ونهى عنه لعلمهم بمقاصد الرسول وذلك كما يعلم
اتباع بقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهم هما لا
يعلم مجرد اللغة ولكن تاويل الامر والنهي لا بد من معرفة

بخلاف ما ونزل الخبر اذا عرف ذلك فنقول وبالله ما اخبر الله
به عن نفسه المقدسة بما لها من حقايق الاسماء والصفات
هو حقيقة المقدسة المنصفة بما لها من الصفات
وتاويل ما اخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فيه
الفاظ متشابهة تشبه معانيها ما يعلمه الناس في الدنيا
كما اخبر ان في الجنة لبنا وعسلا وخمرا ونحو
ذلك وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى ولكن
ليس هو مثله ولا حقيقته كحقيقته فاسماء الله وصفاته
اولى وان كان بينها وبين اسماء العباد وصفاتهم
تشابه ان لا يكون الخالق مثل المخلوق ولا حقيقته
كحقيقته والاخبار عن الغايب لا يفهم الا بما يعبر
عنه بالاسماء المعلوم معانيها في الشاهد وبعلم
بها ما في الغايب بواسطة العلم بما في الشاهد
مع العلم بالفارق المميز وان ما اخبر الله به من الغيب
اعظم مما يعلم في الشاهد وفي الغايب ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فنحن اذا
اخبرنا الله بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار

نفسه

وهو الوجود والوجد هو نفس ما يكون به الوجود والوجد وهذا في الاعراض
وهو ان يثبت لها احكام بحسب ما

علنا معنى ذلك وفهمنا ما اريد بنا فهمه بذلك
الخطاب وفسرنا ذلك وانما نفس الحقيقة المخبر
عنها مثل التي لم تكن بعد وانما تكون يوم القيامة
فذلك من التاويل الذي لا يعلمه الا الله وهذا ما
سيل مالك وغيره من السلف عن قوله الرحمن على
العرش استوى قالوا الاستواء معلوم والكيف
مجهول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة
وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله الاستواء معلوم
والكيف مجهول ومن الله البيان وعلى رسوله البلاغ
وعلينا الايمان فبين ان الاستواء معلوم وان كيفية
ذلك مجهوله ومثل هذا يوجد كثيرا في كلام
السلف والائمة ينفون علم العباد بكيفية صفات
الله وانه لا يعلم كيف الله الا الله ولا يعلم ما هو
الا هو وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وهذا في صحيح
مسلم وغيره وقال في الحديث الاخر اللهم اني
اسالك باسمك الذي هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك

او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب
عندك والحديث في المسند وفي صحيح ابن حبان وقد
اخبر فيه ان لله من الاسماء ما استاثر به في علم الغيب
عنده فمعاني هذه الاسماء التي استاثر بها في علم
الغيب عنده لا يعلمها الا هو والله سبحانه اخبرنا
انه عليم قدير سميع بصير غفور رحيم الى غير ذلك
من اسمائه وصفاته فنحن نفهم معنى ذلك ونميز بين العلم
والقدرة وبين الرحمة والسمع والبصر ونعلم
ان الاسماء كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله مع تنوع
معانيها في شفقه متواطيه من حيث الذات
متباينه من جهة الصفات وكذلك اسماء النبي صلى الله
عليه وسلم مثل محمد واحمد والماحي والحاشر والعاقب
وكذلك اسماء القرآن مثل القرآن والفرقان والهدى
والنور والتنزيل والشفاء وغير ذلك ومثل هذه
الاسماء يتنازع الناس فيها هل هي من قبيل المترادفة
لاتحاد الذات او من قبيل المتباينة لتعدد الصفات
كما اذا قيل السيف والصارم والمهند وقصد

بالصارم معنى الصرم وفى المهند الشبه الى الهند والتحقيق
انها مترادفة فى الذات متباينة فى الصفات ومما يوضح
هذا ان الله وصف القرآن كله بانه محكم وبانه متشابه
وفى موضع اخر جعل منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه
فينبغى ان يعرف الاحكام والتشابه الذى يعم الاحكام والتشابه
الذى يخص بعضه قال الله تعالى الركاب
احكمت اياته ثم فصلت فاخبر انه احكم اياته كلها
وقال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى
فاخبر انه كله متشابه والحكم هو الفصل
بين الشيئين فالحاكم يفصل بين الخصمين والحكمة فصل
بين المشتبهات علما وعملا اذا ميز بين الحق والباطل
والصدق والكذب والنافع والضار وذلك يتضمن
فعل النافع وترك الضار فيقال حكمت السفيه
واحكمته اذا اخذت على يده وحكمت الدابة واحكمتها
اذا جعلت لها حكمة وهو ما احاط بالحنك من اللجام
واحكام الشئ اتقانه فاحكام الكلام اتقانه
بتمييز الصدق من الكذب والخبأ وتمييز الرشاد

من البغي في اوامره والقرآن كله محكم بمعنى الاتقان
فقد سماه الله حكيما بقوله تلك ايات الكتاب الحكيم
فالحكيم بمعنى الحاكم كما جعله يقص بقوله ان
هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه
يختلفون وجعله مفتيا في قوله قل الله يفتيكم فيهن
وما يتلى عليكم في الكتاب اي ما يتلى عليكم يفتيكم فيهن
وجعله هاديا ومبشرا في قوله ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات واما المتشابه الذي عممه فهو ضد
الاختلاف المنفي عنه في قوله ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا الاختلاف المذكور
في قوله انكم لفي قول مختلف يوفك عنه من افك
فالمتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه بحيث
يصدق بعضه بعضا فاذا امر بامر لم ينه بما يقتضيه في
موضع اخر بل يامر به او بنظيره او بملزومه وما تضمنه
واذا نهى عن شيء لم يامر به في موضع اخر بل ينهى عنه
او عن نظيره او عن لوازمه اذا لم يكن هناك نسخ وكذلك
اذا

اذا اخبر بثبوت شئ لم يعلم بنفيض ذلك الخبر بثبوته او
بثبوت ملزومه وما نه واذا اخبر بنفي شئ لم يثبته بل بنفيه او
بنفي لوازمه بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضا
فيثبت الشئ تارة وبنفيه اخرى او يأمر به وينهى عنه
في وقت واحد او يفرق بين المتماثلين فيمدح احدهما ويذم
الاخر فان هذا قول المختلفة هنا هي المتضادة والمتشابهة
هي المتوافقة وهذا التشابه يكون في المعاني فاذا
كانت المعاني توافق بعضها بعضا وتعضد بعضها بعضا
وبناسب بعضها بعضا ويشهد بعضها بعض او ينفي
بعضها بعضا كان الكلام متشابها بخلاف الكلام المتناقض
الذي يضاد بعضه بعضا فهذا التشابه العام لا ينافي
الاحكام العام بل هو مصدق له فان الكلام المحكم
المتقن يصدق بعضه بعضا لا يناقض بعضه بعضا
بخلاف الاحكام الخاص فانه ضد التشابه الخاص
والتشابه الخاص هو مشابهة الشئ لغيره من وجه
مع مخالفته له من وجه اخر بحيث يشتبه على
بعض الناس انه هو هو او هو مثله وليس كذلك

والاحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه احدهما بالآخر
وهذا التشابه انما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود
الفاصل بينهما ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما فيكون
مشتبها عليه ومنهم من يهتدي الى ذلك فالتشابه الذي
لا يعرف معه قد يكون من الامور النسبية الاضافية بحيث
يشتبه على بعض الناس دون بعض ومثل هذا يعرف منه اهل
العلم ما زال عنهم هذا الاشتباه واذا اشتبه على
بعض الناس ما وعد الله في الآخرة مما يشهدونه
في الدنيا وظن انه مثله فعلم العلماء انه ليس هو مثله
وان كان مشتبها له من بعض الوجوه ومن هذا الباب
الشبه التي يضل بها على بعض الناس وهي ما يشبه الحق فيها
بالباطل حتى يشتبه على بعض الناس ومن اوتي العلم
بالفصل بين هذا وهذا لم يشتبه عليه الحق بالباطل
والقياس الفاسد انما هو من باب الاشتباه لانه
تشبيه للشيء في بعض الامور بما لا يشبهه فيه فمن عرف
الفصل بين الشيئين اهتدى للفرق الذي يزول به الاشتباه
والقياس الفاسد ومما مر تبين الاجتماع في شيء يعرفان

في شيء منهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه
فلهذا كان ضلال بني آدم من قبل التشابه والقياس الفاسد
لا سيما قال الامام احمد اكثر ما يقع الناس
من جهة التاويل والقياس فالتاويل في الادلة السمعية
والقياس في الادلة العقلية وهو كما قال والتاويل
انما يكون في الالفاظ المتشابهة والقياس الخطا
انما يكون في المعاني المتشابهة وقد وقع بنو آدم في عامة
ما تناوله هذا الكلام من انواع الضلالات حتى ان
الامر من يدعي التحقيق والتوحيد والعرفان منهم الى
ان اشتبه عليهم وجود الرب بوجود كل موجود وظنوا
انه هو فجعلوا وجود المخلوقات عين وجود الخالق
مع ان كل شيء بعد عن مماثلة شيء او ان يكون اياه او
متحدا به او حالا فيه من الخالق مع المخلوق فاشتبه
عليهم وجود الخالق بوجود المخلوقات كلها
حتى ظنوا وجودها وجوده فهم اعظم الناس ضلالا
من جهة الاشتباه وذلك ان الموجودان يشتركان
في مسمى الوجود فرأوا الوجود واحدا ولم يفرقوا

من الواحد بالعين والواحد بالنوع وآخرون توهموا أنه إذا
قيل الموجود أن يشترك في مسمى الوجود لزم التشبيه
والتركيب وقالوا لفظ الوجود مشترك بالاشتراك اللفظي
مخالفوا ما اتفق عليه العقلاء مع اختلاف أصنافهم من
أن الوجود ينقسم إلى قديم ومحدث ونحو ذلك من
أقسام الموجودات وطائفة ثالثة إذا كانت
الموجودات تشترك في مسمى الوجود لزم أن يكون
الخارج عن الأذهان موجود مشترك فيه وزعموا أن ما في
الخارج عن الأذهان كليات مطلقة مثل وجود مطلق
وحيوان مطلق وجسم مطلق ونحو ذلك وخالفوا الحس
والعقل والشرع وجعلوا ما في الأذهان تابعا للأعيان
وهذا كله من نوع الاشتباه ومن هداه الله فرق
بين الأمور وأن اشتركت من بعض الوجوه وعلم
ما بينها من الجمع والفرق والتشابه والاختلاف وهؤلاء
لا يصلون للصواب من الكلام لأنهم يجمعون بينه وبين
المحكم المفارق الذي بين ما بينهما من الفصل
والافتراق وهذا كما أن لفظ أنا ونحن وغيرهما من صيغ

الجمع بتكلم بها الواحد الذي لا شريك له في الفعل وتكلم بها الواحد
الذي له شريك في الفعل وتكلم بها الواحد العظيم الذي له
صفات يقوم كل صفة مقام واحد او له اعوان
تابعون له لا شركاء له فاذا تأمل الناظر نحو قوله انا نحن
نزلنا الذكر ونحوه على تعدد الالهة كان المحكم كقوله
والهكم اله واحد ونحو ذلك مما لا يحتمل الا معنى واحدا
بل مما هناك من الاشتباه وكان ما ذكره من صيغة
الجمع مبينا لما استحقه من العظمة بالاسماء والصفات
وطاعة المخلوقات من الملائكة وغيرهم واما حقيقة
ما دل عليه ذلك من حقائق الاسماء والصفات وما
له من الجنود الذي لا يعلمهم في افعاله فما يعلم الا هو
وما يعلم جنود ربك الا هو وهذا من تأويل المتشابه
الذي لا يعلمه الا الله كخلق الملك من البشر اذا قال
قد امرنا الملك بعطاء فقد علم انه هو واعوانه مثل
كاتبه وحاجبه وخادمه ونحو ذلك امر وابه وقد
يعلم ما صدر عنه ذلك الفعل من اعفاء دابة وارادته
ونحو ذلك والله تعالى لا يعلم عباده الحقايق التي اخبر

عنها من صفاته وصفات اليوم الآخر ولا يعلمون حقايق
ما اراد بخلقه وامر به من الحكمة ولا حقايق ما صدر عنه
من المشيه والقدره وهذا بين ان المتشابه يكون الالفاظ
المتواطئه كما يكون في الالفاظ المشتركه التي لا تشتبه بغير
وانما الاشتباه بما عرا احد المعنيين من اضافه او
تعريف كما اذا قيل فيها انهار من ماء وهناك خص
هذا الماء بالجنه فظهر الفرق بينه وبين ما في الدنيا
لكن حقيقه ما امتاز به ذلك الماء غير معلوم لنا وهو ما
اعد الله لعباده الصالحين مما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر من التاويل الذي لا يعلمه الا
الله وكذلك قول اسحابه الى يخصص هذه التي هي حقيقه
لا يعلمها الا هو وهذا كان الائمه كالامام احمد وغيره
ينكرون على الجهميه وانما هم من الذين يحرفون الكلم عن
مواضعه تاويل ما تشابه عليهم من القرآن على غير
تاويله كما قال الامام احمد في كتابه الذي صنفه في الرد
على الزنادقه والجهميه فيما شكت فيه من متشابه القرآن
وتاولته على غير تاويله وذكر في ذلك ما شبه عليهم

فيما تاولوه على غير تاويله

صفاه

معناه وإن كان لا يستبد على غيرهم وذمهم على انهم تاولوه على
غير تاويله لم يقف مطلق لفظ التاويل كما يقدم من ان لفظ
التاويل يراد به التفسير المبين لمراد الله به فذاك
لا يعاب بل يحمد ويراد بالتاويل الحقيقة التي استاثر الله
بعلمها فذاك لا يعلمه الا هو وقد بسطنا هذا في غير هذا
الموضع ومن لم يعرف هذا اضطرب في قوله مثل طائفة
يقولون ان التاويل باطل وانه يجب اجراء اللفظ على ظاهره
ويحتجون بقوله وما يعلم تاويله الا الله ويحتجون
بهذه الاية على ابطال التاويل وهذا تناقض منهم
لان هذه الاية تقتضي ان هناك تاويلا لا يعلمه الا الله وهم
ينفون التاويل مطلقا ووجه الغلط ان التاويل الذي
استاثر الله بعلمه هو الحقيقة التي لا يعلمها الا هو واما
التاويل المذموم والباطل فهو تاويل اهل التحريف
والبدع الذين تاولوه على غير تاويله وهم يدعون صرف
اللفظ عن مدلوله الى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك
ويدعون انه في ظاهره من المحذور وما هو بظاهر المحذور
اللازم فما اثبتوه بالعقل ونصرفونه الى معان هي نظير

المعاني التي نفوها عنه فيكون ما نفوه من جنس ما اثبتوه
فان كان اثباتهم حقا ممكنا كان المنفي مثله وان كان
المنفي باطلا ممتنعا كان اثباتهم مثله وهؤلاء الذين يقولون
التأويل مطلقا ويحتجون بقوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله
قد يظنون انا خوطبنا في القرآن بما لا نفهمه احدا وبما لا معنى له
او بما لا نفهم منه شيء فانه لا ظاهر له على قولهم وهذا
مع انه باطل وهو متناقض لانا اذا لم نفهمه لم نحزان
نقول له تأويل يخالف الظاهر ولا يوافقه لامكان
ان يكون له معنى صحيح وذلك المعنى الصحيح لا يخالف
الظاهر المعلوم لنا فلا يكون دلالته على ذلك المعنى
دلالة على خلاف الظاهر فلا يكون تأويلا ولا يجوز ان
يعرف دلالته على معان لا نعرفها على هذا التقدير فانه
تلك المعاني التي دل عليها لا يمكن عارفين بها ولانا
اذا لم نفهم اللفظ ومدلوله المراد فلان لا نعرف دلالته
على المعاني التي لم يدل عليها اللفظ اولى لان اشعاره
اللفظ بما يراد به اقوى من اشعاره بما لا يراد به فاذا كان
اللفظ لا يكون مشعرا بما يراد به فلا يجوز ان يقال انه هذا

الألوكة
www.alukah.net

اللفظ متاول بمعنى انه مصروف عن الاحتمال المرجوح م
فضلا عن ان يقال ان هذا التاويل لا يعلمه الا الله اللهم
الا ان يراد بالتاويل ما يخالف ظاهره اللايق بالمخلوقين فلا
يمكن ان يراد بالظاهر هذا ولا بد ان يكون له تاويل يخالف
ظاهره لكن اذا قال هاولاء انه ليس لها تاويل يخالف
الظاهر لانها تجرى على المعانى الظاهرة منها كانوا
متناقضين وان اراد وا بالظاهر هنا معنا وهنا معنى
وسياق واحد من غير بيان كان تلبيسا وان اراد وا بالظاهر
مجرد اللفظ اى يجرى على مجرد اللفظ الذى يظهر من
غير وهم لمعناه كان ابطالهم للتاويل اوابثاته تناقضا
لان من اثبت تاويلا اونفاه فقد فهم معنى من المعانى
وهذا التقسيم يتبين تناقض كثير من الناس من
نفاه الصفات ومثبتيها فى هذا الباب والله اعلم

القاعده السابعه انه لقايل ان يقول
لا مدرى هذا الباب من ضابط يعرف به ما يجوز على الله
تعالى مما لا يجوز فى النفى والاثبات اذ الاعتماد فى
هذا الباب على مجرد نفى التشبيه او مطلق الاثبات من

غير تشبيه ليس بشديد وذلك انه ما من شيئين الا وبينهما
قدر مشترك وقد رمز فالنا في ان اعتمد فيما نفيه على
ان هذا تشبيه قيل له ان اردت انه مماثل له من كل وجه
فهذا باطل وان اردت انه مشابه له من وجه دون وجه
او مشارك له في الاسم لزمك هذا في سائر ما اثبته وانتم
انما اقمتم الدليل على ابطال التشبيه والمماثل الذي فسروه
بانه يجوز على احدهما ما يجوز على الاخر ويمتنع عليه
ما يمتنع عليه ويجب له ما يجب له ومعلوم ان اثبات
التشبيه بهذا التفسير مما لا يقوله عاقل يتصور ما
يقول فانه يعلم بضرورة العقل امتناعه ولا يلزم
من نفي هذا نفي التشابه من بعض الوجوه كما في الاسماء
والصفات المتواطئة ولكن من الناس من يجعل التشبيه
مفسرا بمعنى من المعاني ثم كل من اثبت ذلك المعنى
قالوا انه مشبه ومنازعهم يقول ذلك المعنى ليس هو
من التشبيه وقد يفرق بعض الناس بين لفظ التشبيه ولفظ التمثيل
وذلك لان المعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات يقولون
كل من اثبت لله صفة قديمة فهو مشبه فمثل من

قال ان لله علما وقدرة وقديم كان عندهم مشبها بمثلا
لان القديم عند جمهورهم هو احسن وصف الاله فمن
اثبت له صفه قديمه فقد اثبت له مثلا قديما عندهم
فيشبهونه بمثلا هذا الاعتبار وشبه الصفات لا يوافقهم
على هذا القول احض وصفه ما لا ينتصف به غيره
مثل كونه رب العالمين وانه يعلم شيء علم وعلى كل شيء قدير
وانه اله واحد ونحو ذلك والصفة لا توصف لشيء من
ذلك ومنهم من يقول هو قديم ويقول صفته قديمه ولا
يقول هو وصفاته قديمان ومنهم من يقول هو وصفاته
قديمان لكن لا يقول ذلك لانه يقتضي مشاركة الصفة له
في شيء من خصايصه فان القدم ليس هو من خصايص الذات
المجرده بل هو من خصايص الذات الموصوفة بالصفات
والا فالذات المجرده لا وجود لها عندهم فضلا
عن ان تختص بالقدم وقد يقولون الذات متصفه بالقدم
والصفات متصفه بالقدم وليست الصفة الها ولا
ربا فان الشيء وصفاته محدثه وليست صفاته نبيا فهولاء
اذا اطلقوا على الصفاتية اسم التشبيه والممثل كان هذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بحسب اعتقادهم الذي نازعهم فيه اولئك يقول لهم اولئك هب
ان هذا المعنى قد يسمى باصطلاح بعض الناس تشبيها فهذا
المعنى لم ينفه عقل ولا سمع وانما الواجب نفي ما نفته
الادله الشرعيه والعقليه والقرآن قد نفى مسمى المثل
والكفو والند ونحو ذلك ولكن يقولون الصفه في لغة
العرب ليست مثل الموصوف ولا كفوه ولا ندّه فلا يدخل
في النفي والعقل فلم ينف مسمى التشبيه باصطلاح المعتزله
وكذلك ايضا يقولون ان الصفات لا تقوم الا بجسم مختص
والاجسام متماثله فلو قامت به الصفات للزم ان
يكون مماثلا لسائر الاجسام وهذا هو التشبيه وكذلك
يقول هذا كثير من الصفاتيه الذين يسمون الصفات
ومنهم من يقول علو على العرش او قيام الافعال الاختياريه
به ونحو ذلك ويقولون الصفات قد تقوم بما ليس بجسم
واما العلو على العالم فلا يصح الا اذا كان جسما فلو اثبتنا
علوه للزم ان يكون جسما وحينئذ فالاجسام متماثله
فيلزم التشبيه فهذا احد هؤلاء يسمون من اثبت العلو
ونحوه مشبها ولا يسمون من اثبت السمع والبصر والكلام

ونحوه مشبهاً بقوله صاحب الارشاد واماله وكذلك
وافقهم على القول بماثل الاجسام القاضي ابو يعلى واماله
من مشبه الصفات والعلو لكن هولاء يجعلون
العلو صفة خبريه كما هو اولى قول القاضي ويكون الكلام
فيه كالكلام في الوجه وقد يقولون اما يستحيل لانه ينافي
الجسم كما يقولونه في سائر الصفات والعاقل اذا تامل
وجد الامر فيها يقولونه كالامر فيما اثبتوه لا فرق
واصل كلام هولاء هو على ان اثبات الصفات يستلزم
التجسيم والاجسام متماثله والمسلمون يجيبون عن
هذا تاره بمنع المقدمه الاولى وتاره بمنع المقدمه
الثانيه وتاره بمنع كل من المقدمتين وتاره بالانفصال
ولا ريب ان قولهم بماثل الاجسام قول باطل سواء فسروا
الجسم بما يشار اليه او بالقائم بنفسه او بالموجود او
بالمركب من الهيولى والصوره ونحو ذلك واما اذا فسروه
بالمركب من الجواهر المنفرده وهذا مبني على صحه ذلك
وعلى اثبات الجواهر المنفرده وعلى انها متماثله وجمهور
العقلاء خالفوهم في ذلك والمقصود انهم يطلقون التشبيه

على ما تعتقده من حسمانيا على مماثل الاجسام والمشبهون
ينازعونهم في اعتقادهم كاطلاق الرافضه للنصب
على من يتولى ابا بكر وعمر بناء على ان من احبهما فقد ابغض عليا
ومن ابغضه فهو ناصبي واهل السنه ينازعونهم في المقدمه
الاولى وهذا يقول هولاء ان الشيئين لا شبه بينهما فانهما من
وجه ويختلفان من وجه واكثر العقلاء على خلاف ذلك وقد
بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين فيه
حجج من يقول بتماثل الاجسام وحجج من نفى ذلك وبين فساد
قول من يقول بتماثلها وايضا فالاعتماد هذا الطريق على
نفي التشبيه اعتماد باطل وذلك انه اذا ثبت تماثل الاجسام
فهم لا ينفون ذلك الا بحجه التي ينفون بها الجسم واذا
بينت ان هذا يستلزم الجسم وثبت امتناع الجسم كان
هذا وحده كافيا في نفي ذلك لا يحتاج بعد ذلك الى نفي
مسمى التشبيه لكن نفي الجسم يكون مبنيا على نفي هذا
التشبيه بان يقال لو ثبت له كذا وكذا لكان جسما
ثم يقال الاجسام متماثله فيجب اشتراكها فيما يحب ويجوز
ويمتنع وهذا ممتنع عليه لكن جنس يكون من

سلك هذا المسلك معتمدا في نفي التشبيه على نفي التجسيم وكون
اصل نفيه نفي الجسم وهذا مسلك احرى ستكلم عليه ان
شاء الله تعالى وانما المقصود هنا ان مجرد الاعتماد في نفي
ما سبق على مجرد نفي التشبيه لا يفيد اذ ما شيئين لا
يشبه ان من وجه ويفترقان من وجه بحلاف الاعتماد
على نفي النقص والعيب ونحو ذلك مما هو منتف عنه
فان هذه طريقة صحيحة وكذلك اذا اثبت له صفات
الكمال ونفي مماثله غير له فيها فان هذا نفي مماثله فيها
هو مستحق له وهذا حقيقة التوحيد وهو ان لا يشبه
شيء من الاشياء مما هو من خصائصه وكل صفة من
صفات الكمال وهو متصف بها على وجه لا مماثله فيه
احد وهذا كان مذهب سلف الامة وائمتها اثبات
ما وصف به نفسه من الصفات ونفي مماثلة شيء من المخلوقات
فان قيل ان الشيء اذا ناب عن غيره من وجه جاز
عليه ما يجوز عليه من ذلك الوجه ووجب له ما وجب
له وامتنع عليه ما امتنع عليه قيل هب ان الامر كذلك
ولكن اذا كان ذلك القدر المشترك لا يستلزم اثبات

ما امتنع على الرب سبحانه ولا نفى ما يستحقه لم يكن ممتنعا كما اذا
قيل انه موجود حي عليم قدير وقد يسمى بعض المخلوقات
حيا عليما سميعا بصيرا فاذا قيل يلزم انه يجوز عليه ما
يجوز على ذلك من جهة كونه موجودا حيا عليما قديرا قيل
لازم هذا القدر المشترك ليس ممتنعا على الرب فان
ذلك لا يقتضي حدوثا ولا امكانا ولا نقصا ولا شيئا مما ينافي
صفات الربوبية وذلك ان القدر المشترك هو مسمى
الوجود او الموجود او الحيوة او الحي او العليم او العلم
او السمع والبصر او السميع والبصير او القدرة او القدير
والقدر المشترك مطلق كلي لا يختص باحدهما دون
الاخر فلم يقع بينهما اشتراك فيما يختص بالممكن المحدث
ولا فيما يختص بالواجب القديم فان ما يختص به احدهما
يمتنع اشتراكهما فيه فاذا كان القدر المشترك الذي اشتركا
فيه صفة كمال كالوجود والحيوة والعلم والقدرة ولم
يكن في ذلك ما يدل على شيء من خصائص المخلوقين كما لا يدل على
شيء من خصائص الخالق لم يكن في اثبات هذا محذورا
اصلا بل اثبات هذا من لوازم الموجود وكل موجود فلا بد

سفا من مثل هذا ومن نفى هذا لزمه تعطيل وجود
كل موجود وهذا مما اطبق الأئمة على ان هذا حقيقة قول
الجهمية وسلفهم معطلة وكان جهم ينكر ان يسمى الله شيئا
وربما قالت الجهمية هو شئ لا كالاشياء فاذا نفى القدر
المشترك مطلقا لزم التعطيل التام والمعانى التى يوصف
بها الرب تعالى كالحيوة والعلم والقدرة مثل الوجود والثبوت
والحقيقة ونحو ذلك يجب له لوازمها فان ثبوت الملزوم
يقتضى ثبوت اللازم وخصائص المخلوق التى يجب تنزيه
الرب عنها ليست من لوازم ذلك اصلا بل تلك من لوازم
ما اختص بالمخلوق من وجود وحيوة وعلم ونحو ذلك
والله سبحانه منزه عن خصائص المخلوق وملزوم
خصائصه وهذا الموضع من فهمه فهما جيدا وتدبره
دله عنه عامة الشبهات والتبس له غلط كثير
من الاذكياء فى هذا الموضع وقد بسط هذا فى مواضع
كثيرة ومن تدبرها ان القدر المشترك الكلى لا يوجد فى الخارج
معينا مقيدا وان معنى اشتراك الموجودات فى امر من
الامور وهو تشابهها من ذلك الوجه وان ذلك المعنى

العام يطلق على هذا الامر الموجود الذي في الخارج يشارك
احدهما للاخر في شيء موجود فيه بل كل موجود متميز
عن غيره بذاته وصفاته وافعاله ولما كان الامر كذلك
كان كثير من الناس يناقض في هذا المقام فتارة يظن
ان اثبات القدر المشترك يوجب التشبيه الباطل ويجعل ذلك
لوجه فما ظن لزومه من الصفات حذروا من لزوم
التشبيه وتارة يظن انه لا بد من اثبات هذا على كل
تقدير فيجيبه فما شبهته من الصفات لمن احتج به
من النفاة ولكثرة الاشتباه في هذا المقام وقعت الشبهة
في ان وجود الرب هل هو عين ماهيته او زايد على ماهيته
وهل لفظ الوجود يقول بالاشتراك اللفظي او بالتواطي او
التشكيك كما وقع الاشتباه في اثبات الاحوال وفي
ان المعدوم هل هو شيء او لا وفي وجود الموجودات
هل هو زايد على ماهيتها ام لا وقد كثر من ابهة النظار
الاضطراب والتناقض في هذه المقامات فتارة يقول
احدهم القولين المتناقضين ويحكي عن الناس مقالات
ما قالوها وتارة تبقى في الشك والتحيير وقد بسطنا

من الكلام في هذه المقامات وما وقع من الاشتباه والغلط
والحسن وبينها لايمه الكلام والفلسفة ما لا يتسع له هذه
الجمل المختصره وبنا ان الصواب ان وجود كل شئ في الخارج
هو ماهيته الموجودة في الخارج بخلاف الماهية التي في
الذهن فانها مغايرة للموجود في الخارج وان لفظ الوجود
كلفظه الذات والشئ والماهية والحقيقة وجود ذلك
وهذه الالفاظ لها شواطيه واذا قيل انها مشتركه
لفاضل معانيها فالمشترك نوع من المشاطي العام الذي
يراعى فيه دلاله اللفظ على القدر المشترك سواء كان المعنى
مفاضلا في موارده او متماثلا وبينا ان المعدوم
شئ ايضا في العلم والذهن لا في الخارج كما هو موجود في العلم
والذهن لا في الخارج ولا فرق بين الثبوت والوجود
لكن الفرق بين الوجود العلمي والعين مع ان ما في
العلم ليس هو الحقيقة الموجودة ولكن هو العلم
التابع للعلم القائم به وكذلك الاحوال التي تماثلها
الموجودات وتختلفها وجود في الاذهان وليس في
الاعيان الا اعيان الموجودة وصفاتها القائمة بها المعينة

فتشابه ذلك وتختلف به والمقصود هنا التنبيه على جمل
مختصرة وجامعة من فهم ما علم قدر نفعها وانفتح له باب
الهدى وامكان اغلاق باب الضلال ثم لنبسطها وشرحها له
مقام آخر فلكل مقام مقال والمقصود هنا الاعتماد على مثل
هذه الكلمة مما نفى عنهم الرب وبرأه عنه كما نفعله كثير
من المصنفين خطأ لمن تدبر ذلك وهذا من طرق النفي الباطلة
وافسد من ذلك ما يسلكه نفاة الصفات او بعضها اذا
ارادوا ان ينزهوه عما يجب تنزيهه عنه كما هو معلوم من
الكفر مثل ان يريدوا تنزيهه عن الحزن والبكاء ونحو
ذلك ويردون الرد على اليهود الذين يقولون انه يبكي
على الطوفان حتى يرد عليه الملائكة والذين يقولون
ما هي بعض البشر وانه الله فان كثيرا من الناس
يحتج على ما ينفي التجسيم او التحيز او نحو ذلك
ويقولون لو اتصف بهذه النقائص والآفات لكان جسما
او متحيزا وذلك ممتنع ولنبلوكم مثل هذه الطريق
اسطها عليهم الملاحدة نفاة الاسماء والصفات فان
هذه الطريق لا تحصل لها المقصود لوجوه احدها ان

وصف الله تعالى بهذه النقايص والآفات اظهر فسادا
فى العقل والدين من نفى التحيز والتجسيم فان هذا ينبنى
من الاشتباه والنزاع والخفا ما ليس فى ذلك وكعرض صاحب
ذلك معلوم بالضرورة من دين الاسلام والدليل معرف
للمدلول وممن لم فلا يجوز ان يستدل على الاظهر
الاجلى بالاخفى فلا يفعل مثل ذلك فى الحدود والوجوه
الثانى ان يقال ولاء الذين يصفونه بهذه الآفات يحكمون
ان يقولوا بحق لا يقول بالتجسيم والتحيز كما يقوله من يثبت
الصفات وينفى التحيز فيصير نزاعهم مثل نزاع مثبتة
صفات الكمال فيصير كلام من وصف الله تعالى بصفات
الكمال وصفات النقص واحدا وينقى رد النفاة على
الطايفتين بطريق واحد ويمدا فى عامة الفساد
الثالث ان هذا لا يتاتى فى صفات الكمال مثل
هذه الطريقة وانصافه بصفات الكمال واجب
ثابت بالعقل والسمع فيكون ذلك دليلا على فساد هذه
الطريقة الرابع ان نسالكى هذه الطريق مناقضة
وكل من اثبت شيئا منهم لزمه الاخر بما وافقه فيه النفى لمثبته

من ٢٤ باب كما ان نفى كل منهم الزم لاحد ما وافقه فيه

الصفات كالحيوة والعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر
اذا قالت لهم الفاه كالمعتزلة هذا محسم لان هذه
الصفات اعراض والعرض لا يقوم الا بجسم اولا نالا نعرف
موصوفا بالصفات الا جسما قالت لهم المثبتة وانتم قد
سلمتم انه حي عليم قدير وسلم ليس بجسم وانتم لا تعقلون
موجودا حيا عالما قادرا الا جسما فقد اتفقتم على
خلاف ما علمتم فكذلك نحن وقالوا لهم انتم اثبتم حيا عالما
قادرا الا بحيوة ولا علم ولا قدرة وهذا ناقض
لعلم بضرورة العقل ثم هؤلاء المثبتة اذا قالوا لنا
اثبات انه يرضى ويغضب ويحب ويبغض او من وصفه
بالاستواء والنزول والاتيان والمجيء او الوجه واليد
ونحو ذلك اذا قالوا هذا يقتضي التجسيم لانا لا نعرف
ما يوصف بذلك الا ما هو جسم قالت لهم المثبتة
فانتم قد وصفتموه بالحيوة والعلم والقدرة والسمع والبصر
والكلام وهذا هكذا فان كان هذا لا يوصف به الا
الجسم فالاخر كذلك وان امكن ان يوصف باحدهما ما ليس
بجسم فالاخر كذلك فالفرق بينهما تفريق بين المتماثلين

ولهذا كان الرد على من وصف الله تعالى بالنقائص هذه
الطريق طريقا فاسدا لم يسلكه احد من السلف والائمة
فلم يعطوا احدا منهم في حق الله تعالى لا نفيا ولا اثباتا
ولا بالجوهر والجزء ونحو ذلك لانها عبارات مجملة لا
تحق حقا ولا تبطل باطلا ولهذا لم يذكر الله في كتابه
ما انكره على اليهود وغيرهم من الكفار ما هو من هذا
النوع بل هذا هو من الكلام المبتدع الذي انكره السلف
والائمة فصل واما في طرق الاثبات فمعلوم ايضا
ان المثبت لا يكفي في اثباته مجرد نفي التشبيه اذ لو كفى
في اثباته مجرد نفي التشبيه لجاز ان يوصف الله سبحانه وتعالى
من الاعضاء والافعال بالانكاد يحصى مما هو ممتنع عليه
مع نفي التشبيه عنه وان يوصف بالنقائص التي لا يجوز عليه
مع نفي التشبيه كما لو وصفه مفتر عليه بالبكاء والحزن
والجوع والعطش مع نفي التشبيه وكما لو قال المفتري
ما كل لا كاكل العباد ويشرب لا كشربهم ويبكي
ويحزن لا كبكائهم ولا حزنهم كما قال يضحك لا كضحكهم
ويفرح لا كفرحهم ويتكلم لا ككلامهم ويجاز ان يقال له

اعضا كثيرين لا كاعضايهم كما قيل له وجه لا كوجوههم
ويدان لا كايديهم حتى يذكر المعده والامعاء والذكر
وغير ذلك مما تعالى الله عز وجل عنه سبحانه وتعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا فانه يقال لنا في ذلك مع اثبات
الصفات الخبريه وغيرها من الصفات ما الفرق بين
هذا وبين ما اثبته اذا نفيت التشبيه وجعلت
مجرد نفي التشبيه كافيا في الاثبات فلا بد من اثبات فرق
في نفس الامر فان قال العقل في الفرق هو السمع فاجاب
(ح) به اثبته دون ما لم يجئ به السمع فيقال له اولا السمع هو
خبر الصادق عما هو الامر عليه في نفسه فما اخبر به
الصادق فهو حق من نفي او اثبات والخبر دليل
على المخبر عنه والدليل لا ينعكس ولا يلزم من عدم
المدلول عليه فالم يرد به السمع يجوز ان يكون ثابتا
في نفس الامر وان لم يرد به السمع اذ الم يكن قد
نفاه ومعلوم ان السمع لم ينف كل هذه الامور
باسمائها الخاصه فلا بد من ذكر ما ينفيه من السمع
والا فلا يجوز حينئذ نفيها كما لا يجوز اثباتها وايضا

فلا

فلابد في نفس الامر من فرق بين ما اثبت له ونفى عنه فان
الامور المتماثلة في الجواز والوجوب والامتناع يمتنع اختصاص
بعضها دون بعض بالجواز والوجوب والامتناع ولابد
من اختصاص المنفي عن المثبت بما يخصه بالنفي ولابد من
اختصاص الثابت عن المنفي بما يخصه بالثبوت وقد
يعبر عن ذلك بان يقال لابد من امر يوجب نفي ما يجب نفيه
عن الله كما انه لابد من امر يثبت له ما هو ثابت
وان كان السمع كافيا كان مخبرا عما هو الامر عليه في نفسه
وما الفرق بين هذا وهذا امتثال كل ما ينفي صفات
الكمال الثابتة لله فهو منزه عنه فان ثبوت احد الضدين
يستلزم نفي الاخر فاذا علم انه موجود واجب الوجود
بنفسه وانه قديم واجب القدم علم امتناع العدم والحدوث
عليه وعلم انه غني عما سواه والمفتقر الى سواه في بعض
ما يحتاج اليه نفسه ليس موجودا بنفسه بل بغيره وذلك
الاخر الذي اعطاه ما يحتاج اليه نفسه ليس موجودا
بنفسه بل بغيره وذلك الاخر الذي اعطاه ما يحتاج اليه
نفسه لابد ان ينتهي الى الموجود الذي هو سبحانه غني عن كل ما سواه

وكل ما نافى غناه فهو منزه عنه وهو سبحانه قدير قوى فكل ما
نافى قدرته وقوته فهو منزه عنه وهو سبحانه حى قيوم وكل
ما نافى حيوته وقيوميته فهو منزه عنه وبالجملة فالسمع قد اثبت
له من الاسماء الحسنى وصفات الجمال ما قد ورد وكل ما صادم ذلك
فالسمع ينفيه كما نفى عنه المثل والند والكفو فان اثبات الشئ نفى
لضده ولما يستلزم ضده والعقل يعرف نفى ذلك كما يعرف
اثبات ضده فاثبات احد الضدين نفى الاخر ولما يستلزمه
وطرق العلم نفى ما سنه الرب عنه متنوعة لا يحتاج فيها الى
الاقتصار على مجرد نفى التشبيه كما فعله اهل القصور
والتقصير الذين ناقصوا فى ذلك وفرقوا بين المتماثلين حتى
ان كل من اثبت شيئا احتج عليهم بما نفاه بانه يستلزم التشبيه
وبذلك احتج القرامطة على نفى جميع الامور حتى نفوا النفى
فقالوا لا يقال موجود ولا ليس بموجود ولا حى ولا ليس
بحى لان ذلك تشبيه بالموجود او المعدوم فلزمهم نفى
النقيضين وهو اظهر الاشياء امتناعا ثم ان هؤلاء لم يلزمهم
من تشبيهه بالمعدومات والممتنعات والجمادات اعظم
مما فروا منه من التشبيه بالاحياء الكاملين وطرق تنزيهه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونقل لنفسه عما هو منزه عنه متسع لاحتاج الى هذا
وقد تقدم ان ما نفى عنه سبحانه نفى لتضمن الغاء الاثبات اذ مجرد
النفي لا مدح فيه ولا كمال فان المعدوم يوصف بالنفي والمعدوم
لا شبه الموجود وليس هذا مدحا له بل مشابهة الناقص
في صفات النقص معتص مطلقا كما ان مماثله المخلوق في شيء من
الصفات بمثل ونفسه منزه عنه الرب تبارك وتعالى والنقص
ضد الكمال وقد اخبر سبحانه انه قد علم انه حي والموت ضد ذلك
فهو منزه عنه وكذلك النوم واسنة ضد كمال الحيوة
فان النوم اخو الموت وكذلك اللغوب نقص في القدرة والقوة
والاكل والشرب ونحو ذلك من الامور فيه امتنان الى
موجود غيره فان الاستعانة بالغير والافتقار اليه
ونحو ذلك تتضمن الافتقار اليه والاحتياج اليه فكل
من يحتاج الى شيء يحمله او يعينه على قيام ذاته وافعاله فهو
مفتقر اليه ليس مستغنيا بنفسه فكيف من يأكل
ويشرب والاكل والشارب حوف والمصمت الصمد اكمل
من الاكل الشارب ولهذا كانت الملائكة صمد الا تأكل
ولا تشرب وقد تقدم ان كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق اولى به

وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق اولى بتنزيهه عن ذلك
والسمع وينفي ذلك في غير موضع كقوله الصمد والصمد
الذي لا جوف له ولا ياكل ولا يشرب وهذه السور هي
سبب الرحمن وهي الاصل في هذا الباب وقال في حق المسيح وامه
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه
صديقة كانا ياكلان الطعام فجعل ذلك دليلا على نفي الالوهية
فدل ذلك على تنزيهه عن ذلك بطريق الاولى والاحرى
والكبد والطحال ونحو ذلك هي اعضاء الاكل والشرب فالغني
المنزه عن ذلك تنزه عن الاتخاذ لذلك كخلاف اليد فانها للعمل
والفعل وهو سبحانه موصوف بالعمل والفعل اذ ذاك
من صفات الكمال فمن يقدر ان يفعل اكمل ممن لا يقدر على
الفعل وهو سبحانه منزه عن الصاحبة والولد وعن الاب
ذلك واشباهه وكذلك البكاء والحزن هو مستلزم للضعف
والعجز الذي تنزه الله عنه كخلاف الفرح والغضب
فانه من صفات الكمال وكما يوصف بالقوة دون العجز
وبالعلم دون الجهل وبالحياة دون الموت وبالسمع دون الصمم
وبالبصر دون العمى وبالكلام دون البكم وكذلك

يوصف بالفرح دون الحزن والضحك دون البكاء ونحو ذلك وايضا
فقد ثبت بالعقل ما نبته السمع من انه سبحانه لا كقوله
ولا سمي له وليس كمثله شئ فلا يجوز ان يكون جسما ولا جسمية
شئ من المخلوقات ولا حقيقة شئ من صفاته كحقيقة شئ
من صفات المخلوقات ومعلوم قطعا انه ليس من جنس
المخلوقات لا الملائكة ولا السموات ولا الكواكب ولا
الهواء ولا الماء ولا الارض ولا الادميين ولا ابدانهم ولا
انفسهم ولا غير ذلك بل العلم ان حقيقته عن مماثلة شئ من
الموجودات ابعد من غير الحقائق وان مماثلته ليس منها
ابعد شئ من مماثلة جسمية شئ من المخلوقات لحقيقة
مخلوق اخر فان الحقيقتين اذا تماثلتا جاز على كل
واحد ما يجوز على الاخرى ويجب لهما ما وجب
لها فيلزم ان يجوز على الخالق العدم الواجب لنفسه ما يجوز
على المحدث المخلوق من العدم والحاجة وان يثبت لهذا
ما يثبت لذاك من الوجوب والغنى فيكون الشئ الواحد
واجبا ممكنا غير واجب لنفسه موجودا معدوما
وذلك جمع بين النقيضين وهذا مما يعلم به بطلان قول

المشبهة الذين يقولون بصر كبصري ويد كيدي ونحو ذلك تعالى الله
عن قولهم علوا كبيرا وليس المقصود هنا استيفاء ما تثبته له
وما تنزهه عنه وطرق ذلك لان هذا مبسوط في غير هذا الموضع
وانما المقصود هنا التنبيه على جوامع ذلك وطرقه وما
سكتت عنه السمع نفيا واثباتا ولم تكن العقل ما تثبته
ولا ينفيه سكتنا عنه فلا نثبته ولا ننفيه فنسكت عما علمنا
سكوته وننفي ما علمنا نفيه ونسكت عما لم نعلم نفيه ولا اثباته
والله اعلم فصل واما الاصل الثاني وهو التوحيد
في العبادات المتضمن للايمان بالشرع والقدر جميعا فنقول
انه لا بد من الايمان بخلق الله وامره فنؤمن ان الله خالق
كل شيء وربه ومليكه وانه على كل شيء قدير وانه ما
شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة الا بالله وقد
علم ما سيكون قبل ان يكون وقدر المقادير وكتبها
حيث شاء كما قال الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير وفي
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله قدر مقادير
الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة

وكان

وكان عرشه على الماء ومحل الايمان بان الله تعالى امر بعبادته وحده
لا شريك له فخلق الانس والجن لعبادته وذلك ارسل رسله
وانزل كتبه وعبادته تتضمن كمال الذل له والحب له وذلك
متضمن طاعته ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقد
قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وقد قال تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من
دون الرحمن الهة يعبدون وقال تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
وقال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا
ربكم فاتقون فامر الرسل باقامة الدين وان لا يتفرقوا فيه
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
انا معشر الانبياء ديننا واحد الانبياء اخوة لعلات

وان أولى الناس بابن مريم لانا انه ليس بيني وبينه نبي وهذا
الدين هو دين الاسلام الذي لا يقبل الله دينا غيره لامن
الاولين ولا من الاخرين فان جميع الانبياء على دين الاسلام
قال تعالى عن نوح واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله الى
قوله تعالى من المسلمين وقال عن ابراهيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم
الى قوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون وقال عن موسى يا قوم ان
كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال
في خبر المسيح واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي
قالوا آمنا واشهد بانا مسلمون وقال فيمن تقدم من الانبياء
يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقال عن بلقيس انها
قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت لله رب العالمين
والاسلام ينتظم الاستسلام لله وحده فمن اسلم له ولغيره
كان مشركا ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته
والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر والاستسلام لله وحده
متضمن عبادته وحده وطاعته وحده فهذا دين الاسلام الذي
لا يقبل الله غيره وذلك انما ان يطاع في كل وقت بفعل ما امر

بسم في ذلك الوقت فاذا امر في اول الامر باستقبال الصخره
ثم امر ثانيا باستقبال الكعبه كان كل من الفعلين جزء امر به
واحدا في دين الاسلام فالدين هو الطاعه والعباده له في
الفعلين وانما تنوع بعض صور الفعل وهي وجهه المصلي
وكذلك الرسل دينهم واحد وان تنوعت الشرعه والمنهاج
والوجهه والمنسك وذلك لا يمنع ان يكون الدين واحدا
كما لم يمنع ذلك في شريعه الرسول الواحد والله تعالى
جعل من دين الرسل ان اولهم مبشر باخرهم ومومن
به واخرهم مصدق لهم ومومن به قال الله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمه
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال
اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال
فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وقال ابن عباس
لم يبعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد
وهو حي ليومنن به ولينصرنه وامره ان ياخذ الميثاق على
امته وهم احياء ليومنن به ولينصرنه وقال
تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب

ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
وجعل الايمان هو سلامة من الزلل والكفر من قال انه امن ببعض الله
وكفر ببعض قال تعالى ان الذين يكفرون بالله
ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وقال تعالى افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم
الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد
العذاب وما الله بغافل عما تعملون وورد قال انا قولوا
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما
اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له
مسلمون فان اتوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا
فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم
فامرنا ان نقول امنا بهذا كله ونحن بالله مسلمون ومن
بلغته رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقر بما جاء به لم يكن

مسلما ولا مؤمنا بل يكون كافرا وان زعم انه مسلما
او مؤمنا كما ذكر وا انه لما انزل الله ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه قالت اليهود والنصارى نحن مسلمون
فانزل الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا وقال تعالى ومن كفر فان الله غني عن
العالمين فان الاستسلام لله لا يتم الا بالاقرار بما له على
عباده من حج البيت وقال صلى الله عليه وسلم بني
الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكاة وصوم رمضان
وحج البيت وهذا لما وقف اليه صلى الله عليه وسلم بعرفة
انزل الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقد تنازع الناس
فيمن تقدم من امة موسى وعيسى هل هم مسلمون ام لا وهو
نزاع لفظي فان الاسلام الخاص الذي بعث الله به محمدا
صلى الله عليه وسلم المتضمن لشريعة القرآن ليس عليه الا
امة محمد صلى الله عليه وسلم والاسلام اليوم عند الاطلاق
يتناول هذا ولا بد واما الاسلام العام المتناول لكل

شريعة بعث الله بها نبيا فانه يتناول اسلام كل أمة
متبعة لنبي من الانبياء وراس الاسلام مطلقا شهادة ان
لا اله الا الله وبها بعث الله جميع الرسل كما قال
تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال
عن الخليل اذ قال لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي
فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم
يرجعون وقال تعالى عنه افرايتم ما تعبدون
انتم وابآؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وقال
تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون وذكر عن رسله كنوح وهود
وصالح وغيرهم انهم قالوا لقومهم اعبدوا الله ما لكم

من الله عز وجل فقال عز من قائل أهل الكهف إنهم فتية آمنوا بربهم
وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا
رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا
شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون
عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا
وقال سبحانه وتعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وذلك في موضعين من كتابه وقد
سمى كتابه الشرك بالأنبياء والشرك بالكواكب
والشرك بالأصنام وأصل الشرك الشرك بالشيطان
فقال عن النصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا
من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا
إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون
وقال تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت
قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك
ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته
تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب
ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت

وقبلهم تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله
ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم
تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً
كفر ومعلوم ان احداً من الخلق لم يزعم ان احداً
من الانبياء والاحبار او الرهبان او من تم شاركوا الله في
خلق السموات والارض بل ولا زعم احد من الناس
ان العالم لله صانعان متكافئان في الصفات
والافعال بل ولا اثبت احد من بني آدم الهاً مضاداً
لله في جميع صفاته بل عامة المشركين مقرون
بان ليس شريكه مثله بل عامتهم يعرفون ان الشريك
مملوك له سواء كان ملكاً او نبياً او كوكباً او صنماً كما
كانت مشركو العرب تقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك
الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك فاهل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى التوحيد فقال لبيك اللهم لبيك لبيك لا
شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك
وقد ذكر ارباب المقالات ما جمعوا من مقالات الاولين

والاخرين في الملل والنحل والاراء والديانات ولم يقولوا عن
احد انه شاركه شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات
ولا مماثل له في جميع الصفات بل من اعظم ما نقلوا في ذلك
قول المشبهة الذين يقولون بالاصلين النور والظلمة وان
النور خلق الخير والظلمة خلقت الشر ثم ذكروا
لهم في الظلمة قولين احدهما انها محدثة فتكون من جملة المخلوقات
له والثاني انها قديمة لكنها لم تفعل الا الشر
وكانت ناقصة في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها عن النور
وقد اخبر سبحانه عن المشركين من اقرارهم
بان الله خالق المخلوقات ما سنه في كتابه فقال تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم
ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن
كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات
رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال
تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله
قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت

كل شئ وهو بحير ولا حاجز عليه ان كنتم تعلمون سيقولون
الله قل فانى تسحرون الى قوله ما اتخذ الله من ولد وما
كان له من الهة اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض
سبحان الله عما يصفون وقال تعالى وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون وهذا وغيره يعرف ما
وقع من الغلط فى مسمى التوحيد فان عامة المتكلمين
الذين يقررون التوحيد فى كتب الكلام والنظر
غايتهم ان يجعلوا التوحيد ثلثة انواع ويقولون
هو واحد فى ذاته لا قسيم له وواحد فى صفاته لا
شبيه له وواحد فى افعاله لا شريك له واشهر الانواع
عندهم فى الثلثة هو الثالث وهو توحيد
الافعال وهو بيان ان خالق العالم واحد وبهم يحتجون
على ذلك بما ذكروه من دلالة التمانع وغيرها
ويظنون ان هذا هو التوحيد المطلوب وان بهذا هو
معنى قولنا لا اله الا الله حتى ويجعلون معنى الالهية
هو القدرة على الاختراع ومعلوم ان المشركين من العرب الذين
بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يعتقدون

في هذا المثل انهم يقرون بان الله خالق كل شيء حتى انهم كانوا يقرون
بالقدر ايضا وهم مع هذا مشركون وقد تبين ان ليس في
العالم من ينازع في اصل هذا الشرك ولكن غايته ما يقال
ان من الناس من جعل بعض الموجودات خلقا لغير الله
كالقدرية وغيرهم لكن هؤلاء يقرون بان الله خالق
العباد وخالق قدرتهم وان قالوا انهم خلقوا افعالهم
وكذلك اهل الفلسفة والطبع والنجوم الذين يجعلون
بعض المخلوقات مبدعة لبعض الامور مع الاقرار بالصانع
يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة لا تقولون
انها مجتبية عن الخالق مشاركة له في الخلق فما من احد انكر
الصانع فذاك جاحد معطل للصانع كالقول الذي
اظهره فرعون والملاحدة الآن مع المشركين بالله المقرين
بوجوده فاما هذا التوحيد الذي قررناه لا ينازعهم
فيه هؤلاء المشركون بل يقرون به مع انهم مشركون
كما نثبت بالكتاب والسنة والاجماع وما علم بالاضطرار
من دين الاسلام وكذلك النوع الثاني وهو قولهم
لا شبيه له في صفاته فانه ليس في الامم من اثبت قديما مماثلا

له في ذاته سواء قال الله شاركه او قال الله لا فعل له بل
من يشبه به شيأ من مخلوقاته فانما كان تشبيهه في بعض
الامور وقد علم بالعقل امتناع ان يكون له مثل من المخلوقات
مشاركه فيما يجب او يجوز او يمتنع عليه فان ذلك يستلزم
الجمع بين النقيضين كما تقدم وعلم ايضا بالعقل ان كل
موجودين فانه لا بد بينهما من قدر مشترك
كاتفاقهما في مسمى الوجود والقيام بالنفس والذات ونحو
ذلك وان نفي ذلك يقتضي التعطيل المحض وانه لا بد من
اثبات خصايص الرب به وقد تقدم الكلام على ذلك وان
الجهمية من المعتزلة وغيرهم اذا رجعوا الى الصفات
في مسمى التوحيد فصار من قال ان الله عليم قدير
او انه يرى او ان القرآن كلام الله غير مخلوق يقولون انه
مشبه ليس بموحد وزاد عليهم غلاة الفلاسفة والباطنية
فنفوا اسماء الحسنى وقالوا من قال ان الله عليم
قدير عزيز حكيم فهو مشبه ليس بموحد وزاد غلاة
الفلاسفة فقالوا لا يوصف بنفي ولا اثبات لان في
كل منهما تشبيها له بالمعدوم وتعدى جنس التشبيه

وما يوصف به منفردا منه فانهم يشبهونه بالممتنعات والمعدومات
والجامدات وبرأيا من تشبيههم بزعمهم بالاحياء والمعلوم
ان بعض الصفات الباطلة لا سبيل له على حد ما يشبه
المخلوق اصلا وهو سبحانه ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا
في صفاته ولا في افعاله ولا فرق بين اثبات الذات
واثبات الصفات فاذا لم يكن في اثبات الذات
اثبات مماثله الذوات لم يكن في اثبات الصفات اثبات
مماثله لها في ذلك فصار هؤلاء الجهمية المعطلة يجعلون
هذا توحيدا ويجعلون مقابله ذلك التشبيه ويسمون
نفوسهم الموحدين وكذلك النوع الثالث وهو قولهم
واحد لا وسيم له في ذاته ولا جزء له ولا بعض له لفظ
مجمل فان الله سبحانه احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد ويمتنع عليه ان يتفرق او يتجزا او يكون
قد ركب من اجزاء كلهم يدخلون في هذا اللفظ
نفي علوه على عرشه ومباينته لخلقه وامتيازه عنهم
ونحو ذلك من المعاني الملزمة لنفيه وتعطيله
ويجعلون ذلك من التوحيد فقد تبين ان ما سموا به

توحيد الله ما هو حق وينفي ما هو باطل ولو كان جمعه
حقا فان المشركين اذا اقروا بذلك لم يخرجوا من الشرك
الذي وصفهم به القرآن وقاتلهم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم
يعترفوا بانه لا اله الا الله وليس المراد بالاله هو القادر
على الاختراع وان من اقر بان الله هو القادر على الاختراع
دون غيره فقد شهد انه لا اله الا هو فان المشركين لم
يقروا بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه بل الاله الحق هو
الذي يستحق ان يعبد وهو اله بمعنى مألوه لا اله بمعنى اله
والتوحيد ان يعبد الله وحده لا شريك له والاشراك ان
يجعل مع الله الها اخر واذا تبين ان غاية ما يقرره هؤلاء
النظار اهل الاثبات للقدر المنتسبون الى السنة
انما هو توحيد الربوبية وان الله رب كل شيء ومع هذا
فالمشركون كانوا مقرين بذلك مع انهم مشركون وكذلك
طوائف من اهل التصوف المنتسبين الى المعرفة والتحقيق
والتوحيد غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا
التوحيد وهو ان يشهد ان الله رب كل شيء ومليكه
وخالقه لا سيما اذا غاب العارف بموجوده عن وجوده

ولمشهوده عن شهوده ولمعروفه عن معرفته ودخل في فناء
توحيد الربوبية بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل وهذا
عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها ومعلوم ان هذا هو
تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد ولا يصير الرجل بمجرد
هذا التوحيد مسلما فضلا عن ان يكون وليا او من كبار
الاولياء وطائفة من اهل التصوف والمعرفة يقررون
هذا التوحيد مع اثبات الصفات فيقولون في توحيد
الربوبية مع اثبات الخالق للعالم المباين لمخلوقاته
واخرون يضمون هذا الى نفي الصفات فيدخلون في
التعطيل مع هذا وهذا اشر من حال كثير من
المشركين وكان جهم ينفي الصفات ويقول بالجبر
فهذا تحقيق قول جهم لكنه اذا اثبت الامر والنهي
والثواب والعقاب فارق المشركين من هذا الوجه
لكن جهما ومن اتبعه يقول بالارجاء وضعف الامر والنهي
والعقاب عندهم والنجارية والضرارية وغيرهم يغلون
من جهم في مسائل القدر والايمان مع مقاربتهم ايضا
له في نفي الصفات والكلابية والاشعرية خير من هولاء

في باب الصفات فانهم يثبتون لله الصفات العقلية وأيمتهم يثبتون
الصفات الخبرية أيضا كما قد فصلت أقوالهم في غير هذا الموضع
وأما في باب القدر ومسايل الاسماء والاحكام في أقوالهم مقاربة
والكلابية اتباع ابي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب الذي سلك
الاشعري خلفه واصحاب ابن كلاب كالحرث المحاسبي وابي العباس
القلانسي ونحوهما خير من الاشعرية في هذا وهذا وهذا
فكلما كان الرجل الى السلف والائمة اقرب كان قوله اعلى
وافضل والكرامية قولهم في باب الايمان قول منكر لم يسبقهم
اليه أحد حيث جعلوا الايمان قولا باللسان مع عدم تصديق
القلب فجعلوا المنافق مؤمنا لكنه مخلد في النار وخالفوا
الجماعة في الاسم دون الحكم واما في الصفات والقدر والوعد
فهم اشبه اكثر طوايف الكلام التي في اقوالها مخالفة
للسنة واما المعتزلة فهم ينفون الصفات ويسارعون
قولهم لكنهم ينفون القدر فهم وان عظموا الامر
والنهي والوعد والوعيد وعلوا فيه فهم يكذبون بالقدر
فيهم نوع من الشرك من هذا الباب والاقرار بالامر
والنهي والوعد والوعيد ولهذا لم يكن في زمن الصحابة

في الكلام

وان يبعث

والتابعين من نفي الأمر والنهي والوعد والوعيد وكان
قد نبغ فيهم القدرية كما نبغ فيهم الخوارج الحرورية وانما يظهر
من البدع اولا ما كان اخف وكلما ضعف من يقوم بنور
النبوة فوقت البدعة فهو ولا المتصوفون الذين يشهدون
الحقيقة الكونية مع اعراضهم عن الامر والنهي شر من
القدرية المعتزلة وبحوهم واولئك يشهدون المجوس وهو كذا
يشهدون المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا
اباؤنا ولا حرمنا من شيء والمشركون شر من المجوس فهذا
اصل عظيم على المسلم ان يعرفه فانه اصل الاسلام الذي
تميز به اهل الايمان من اهل الكفر وهو الايمان
بالوحدانية والرسالة شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وقد وقع كثير من الناس في الاخلال
بحقيقة هذين الاصلين او احدهما مع ظنه انه في
غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة فاقرار المرء بان
الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب
الله ان لم يقترن به الاقرار بانه لا اله الا الله فلا
يستحق العبادة احد الا هو وان محمدا رسول الله فيجب

نصدقه فيما اخبر وطاعته فيما امر فلا بد من العلم في هذين
الفصلين الفصل الاول في توحيد الالهية فانه سبحانه
اخبر عن المشركين كما تقدم انهم اتخذوا وسائط بينهم وبين الله
يدعونهم ويتخذونهم شفعاء بدون الله قال تعالى وهم
يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون
فاخبر ان هؤلاء اتخذوا هؤلاء الشفعاء مشركون
وقال تعالى عن قوم يس ومالي لا اعبد الذي
فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اي ادا
في ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون وقال
تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم
وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون فاخبر
عن شفعائهم انهم زعموا انهم فيهم شركاء وقال تعالى
ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا

ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض
ثم اليه ترجعون وقال تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا
شفيع وقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان
يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وقد قال
تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وقال
تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما
له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له
وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه ان عذاب ربك كان محذورا قال طايفة

من السلف كان اليوم يدعون العزير والمسيح والملائكة فانزل
الله هذه الآية فيهم ان الملائكة والانبياء يتقربون الى
الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه ومن تحقيق التوحيد
ان تعلم ان الله ما اتخذ له حقا لا يشركه فيه مخلوق لا العباده
والتوكل والخوف والتقوى قال الله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص وقال
تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له ديني وقال
تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي
اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وقال من
الرسل يقول اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقال في الوكل
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وعلى الله فليتوكل
المتوكلون قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال
تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله
الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
فقال في الايتا ما اتاهم الله ورسوله وقال في الوكل
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يقل ورسوله لان الايتا

اي الخاص مع الله الى
الا ينفع مع الله غيره

هو الاعطا الشرعي وذلك يتضمن الاباحه والاجلال
الذي بلغه الرسول فان الحلال ما حلله والحرام ما حرّمه
والدين ما شرعه قال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا واما الحسب فهو الكافي والله
وجده كافي عبده كما قال الذين قال لهم الناس ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل فهو وجده حسبهم كلهم وقال
تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي حسبك
وحسب من اتبعك من المؤمنين هو الله فهو كافيكم
كلكم وليس المراد ان الله والمؤمنين حسبك كما يظنه
بعض الغالطين اذ هو وحده كافٍ نبيه وهو حسبه ليس
معه من يكون هو واياه حسبا للرسول وهذا في اللغة كقول الشاعر
فحسبك والضحاك سيف مهند وقول العرب
حسبك وزيدا درهم اي يكفيك وزيدا جميعا درهم
وقال في الخوف والخشيه والتقوى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفايزون فاثبت الطاعه
لله والرسول واثبت الخشيه والتقوى لله وحده كما قال

نوح عليه السلام اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه
واطيعون فجعل العباده والتقوى لله وحده وجعل الطاعة
له فانه من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى فلا
تخافوهم وخافوني ان كنتم مومنين وقال الخليل
عليه السلام وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم
بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين احق بالامن ان
كنتم تعلمون فقال تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وفي الصحيحين
عن ابن مسعود لما نزلت هذه الاية شق ذلك على اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انما هو الشرك الم تسمعوا الى
قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم وقال تعالى
فاياى فارهبون واياى فاتقون ومن هذا الباب ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يقول في خطبته من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولن يضر الله شيئا
وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء
الله ثم شاء محمد ففي الطاعة قرن اسم الرسول باسمه حرف

الواو وفي المشيه امران يجعل ذلك محروما وكذلك لا طاعه
الرسول طاعه الله من يطع الرسول فقد اطاع الله وطاعه
الله طاعه للرسول بخلاف المشيه فليست مشيه احد
من العباد مشيه لله ولا مشيه الله متلازمه لمشيه
العباد بل ما شاء الله كان وان لم يشأ الناس وما شاء الناس
لم يكن ان لم يشأ الله والفضل الثاني حق الرسول
صلى الله عليه وسلم فعلينا ان نؤمن به ونطيعه ونتبعه
ونرضيه ونحبه ونستسلم لحكمه وامثال ذلك قال
تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه وقال تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها وتجاره تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وامثال ذلك
فصل واذا تبين هذا فمن المعلوم انه يجب الايمان

.خلق الله وامره بقضايه وشرعه واهل الضلال الخائضون
في القدر انقسموا الى ثلث فرق مجوسية ومشركية وابليسية؟
فالمجوسية الذين كذبوا بقدر الله وان امنوا بامره ونهيه فعلائهم
انكروا العلم والكتاب ومقتصدهم انكروا عموم مشيئته
وخلقه وقدرته وهاولاء هم المعتزلة ومن وافقهم والفرقة
الثانية المشركية الذين اقروا بالقضاء والقدر وانكروا
الامر والنهي وقال الله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء
الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء فمن احتج على
تعطيل الامر والنهي بالقدر فهو من هولاء وهذا قد كثر
فيمن يدعي الحقيقة من المنتسبة والفرقة الثالثة الابليسية
وهم الذين اقروا بالامر لكن جعلوا هذا ناقضا
من الرب وطعنوا في حكمته وعدله كما يذكر مثل ذلك عن
ابليس مقدمهم كما نقله اهل المقالات ونقل عن اهل الكتاب
والمقصود في هذا ما يقوله اهل الضلال واما اهل
الهدى والفلاح فيومنون بهذا وهذا ويومنون بان الله خالق
كل شيء وربه ومليكه ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن
وهو على كل شيء قدير احاط بكل شيء علما وكل شيء احصاه

في امام مبين ويتضمن هذا الاصل من اثبات علم الله وقدرته
ومشيته ووحدانيته في ربوبيته وانه خالق كل شئ وربه
ومليكه ما هو من اصول الايمان ومع هذا ينكر ما خلقه
الله من الاسباب التي خلقها المسببات كما قال تعالى حتى
اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء
فاخرجنا به من كل الثمرات وقال يهدي به الله من
اتبع رضوانه سبل السلام وقال تعالى يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا فاخبر انه يفعل بالاسباب ومن قال يفعل
عندها لا بها فقد خالف ما جاء به القرآن وانكر ما خلقه
الله من القوى والطبايع وهو شبيه بانكار القوى التي
خلقها الله في الحيوان التي يفعل الحيوان بها مثل قدرة
العبد كما ان من جعلها هي المبدعة لذلك فقد اشرك بالله
واضاف فعله الى غير وذلك انه ما من سبب من الاسباب
الا وهو مقتض لامر آخر في حصول مسببه ولا بد له من
مانع يمنع مقتضاه اذا لم يدفعه الله عنه فليس في الوجود
شئ واحد يفعل شيئا الا الله وحده قال الله تعالى
ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون اي تعلمون

ان خالق الازواج واحد وهذا من قال ان الله لا يصدر عنه الا
واحد لان الواحد لا يصدر عنه الا واحد كان جاهلا فانه
ليس في الوجود واحد صدر عنه وجود شيء لا واحد ولا اثنان
الا الله الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون فالنار التي جعل الله فيها حرارة لا تحصل
الاحراق الا بها وتحل يقبل الاحراق فاذا وقعت على
الشمندل والياقوت ونحوهما لم تحرقها وقد يبطل الجسم
بما يمنع احراقه والشمس التي تكون عنها الشعاع لا بد من جسم
يقبل انعكاس الشعاع عليه واذا جعل حاجز من سحاب او
سقف تحصل من تمام التوجيد الشعاع تحته وقد يبسط
هذا في غير هذا الموضع والمقصود هنا انه لا بد من الايمان بالقدر
فان الايمان بالقدر من تمام التوحيد كما قال ابن عباس الايمان
بالقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده
ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكميل توحيده ولا
بد من الايمان بالشرع وهو الايمان بالامر والنهي والوعد
والوعيد كما بعث الله بذلك رسله وانزل كتبه والانسان
مضطر الى شرع في جبلته الدينا لانه لا بد له من حركة

هو الرب

يجلب بها منفعة وحركة يدفع بها مضرة والشرع مميز بين
الافعال التي تنفعه والافعال التي تضره وهو عدل الله
في خلقه ونوره بين عباده فلا يمكن الادميين ان يعيشوا جميعا
بلا شرع يميز لهم ما ينفعلونه وبين كونه وليس المراد
بالشرع مجرد العدل بين الناس في معاملاتهم بل الانسان
المنفرد لابد له من فعل وترك فان الانسان هم حارث
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اصدق الاسماء حارث وهمام
وهو معنى قولهم متحرك بالارادة فاذا كان له ارادة هو متحرك
بها فلابد ان يعرف ما يريده هل هو نافع له او ضار وهل
يصلحه او يفسده وهذا قد يعرف بعضه الناس بفطرتهم
كما يعرفون انتفاعهم بالاكل والشرب وما يعرفون مما يعرفون
من العلوم الضرورية بفطرتهم وبعضهم يعرفونه بالاستدلال
الذي يشتركون به بعقولهم وبعضه لا يعرفونه الا بتعريف
الرسل وبيانهم لهم وهدايتهم اياهم وفي هذا المقام يعلم
الناس ان الافعال هل يعرف حسنها وقبحها بالعقل
ام ليس لها حسن وقبح يعرف بالعقل كما قد بسط في غير
هذا الموضع وبينا ما وقع في هذا الموضع من الاشتباه فانهم

اتفقوا على ان كون الفعل يلايم الفاعل او ينافره يعلم بالعقل
وهو ان يكون الفعل سببا لما يجده الفاعل ويلتذ به وسببا
لما يبغضه ويؤذيه وهذا القدر يعلم بالعقل تارة وبالشرع
اخرى وهما جميعا اخرى لكن معرفة ذلك على وجه تفصيل
التفصيل ومعرفة الغاية التي تكون عاقبة الافعال
من السعادة والشقاوة في الدار الاخرة لا يعلم الا بالشرع
فالخبر به الرسل من تفاصيل اليوم الاخر وامر به
من تفاصيل الشرايع لا يعلمه الناس بعقولهم كما ان ما اخبرت
به الرسل من تفصيل اسماء الله وصفاته لا يعلمه الناس
بعقولهم وان كانوا قد يعلمون بعقولهم جمل ذلك وهذا
التفصيل الذي يحصل به الايمان وجاء به الكتاب هو
ما دل عليه قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما
كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا وقوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل
على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب
وقوله تعالى قل انما انذركم بالوحي ولكن طايفة توهمت
ان للحسن والقبح معنى غير هذا وانه يعلم بالعقل وقابلهم

طايفة اخرى ظنت ان ما جاء به الشرع من الحسن والقبح
يخرج عن هذا فخالفوا الطايفتين اللتين اثبتتا الحسن والقبح
العقليين او الشرعيين واخرجتاه عن هذا القسم
عطلت ثم ان الطايفتين لما كانت تنكران يوصف الله بالمحبة والر
والسخط والفرح ونحو ذلك مما جاءت به النصوص الالهية
ودلت عليه الشواهد العقلية نفاة الحكم بعد
اتفاقهم على ان الله لا يفعل ما هو منه قبيح هل ذلك
ممتنع لذاته وانه لا يتصور قدرته على ما هو قبيح او
انه سبحانه منزه عن ذلك لا يفعله لمجرد القبح العقلي
الذي اثبتوه على قولين والقولان في الاخرى من جنس
القولين المتقدمين اوليك لم يثبتوا في خلقه وامره بين
الهدى والضلال والطاعة والمعصية والابرار والفجار
واهل الجنة واهل النار والرحمة والعذاب فلا جعلوه
محمودا على ما فعله من العدل او تركه من الظلم ولا ما
فعله من الاحسان والنعمة وتركه التعذيب والنقمة والاجرو
نزهوه بناء على القبح العقلي الذي اثبتوه ولا حقيقة له
وسوؤه بخلقه فيما يحسن ويقبح وشبهوه بعباده فيما يوصف

كل
ضى

سبحانه عنه فمن نظر الى القدر فقط وعظم الغنى بتوحيد
الربوبية ووقف عند الحقيقة الكونية لم يميز بين العلم
والجهل والصدق والكذب والبر والفجور والعدل والظلم والطاعة
والمعصية والهدى والضلال والرشاد والغي واولياء الله
واعدائه واهل الجنة واهل النار وهاؤلاء مع انهم
مخالفون بالضرورة لكتاب الله ودينه وشرائعه فهم
مخالفون ايضا لضرورة الحس والذوق وضرورة العقل
والقياس فان احدهم لابد ان يفرق بين ما يتألم به ويتنعم به
من ما يؤكل ويشرب ومن ما لا يؤكل ولا يشرب
ومن ما يؤذيه من الحر والبرد وما ليس كذلك
وهذا التمييز بين ما ينفعه ويضره هو الحقيقة الشرعية
الدينية ومن ظن ان البشر ينتهي الى حد لا يشرع عنده
الامر والنهي فقد افترى وخالف ضرورة الحس ولكن
قد يعرض للانسان بعض الاوقات عارض كالسكر والاغماء
ونحو ذلك مما يشغله عن الاحساس ببعض الامور فاما ان
يسقط احساسه بالكلية مع وجود الحيوة فيه وهذا
ممتنع فان القائم لم يسقط احساسه بالكلية بل يرى في منامه مما

ما يسره تارة وما يسوءه أخرى فالاحوال التي يعبر عنها بالاصطلام
والفناء والسكر ونحو ذلك إنما تتضمن عدم الاحساس ببعض
الاشياء دون بعض فهي مع نقص صاحبها لضعف تمييزه
لا ينتهي الى حد يسقط فيه التكليف مطلقا ومن بلغ التمييز
في هذا المقام مطلقا وعظم هذا المقام فقد غلط في
الحقيقة الكونية والدينية غلطا قدريا وشرعيا غلط
في خلق الله وفي أمره حيث ظن وجود هذا ولا وجود
له وحيث ظن أنه ممدوح ولا ممدح في عدم التمييز والعقل
والمعرفة فإذا سمعت بعض الشيوخ يقول اريد ان لا اريد
او ان العارف لا حظ له او انه يصير كالميت بين يدي
الغاسل ونحو ذلك فهذا انما يمدح منه سقوط ارادته
التي لم يؤمر بها وعدم حظه الذي لم يؤمر بطلبه
وانه كالميت في طلب ما لم يؤمر بطلبه وترك دفع ما يؤمر بدفعه
ومن اراد بذلك انه تبطل ارادته بالكلية وانه لا حس
باللذة والالم والنافع والضار فهذا مخالف لضرورة
الحس والعقل ومن مدح هذا فهو مخالف لضرورة الدين
والعقل والتجارب الدينية ثلثة امور احدها وهو الفناء

الدين الشريف الذي جاءت به الرسل وانزلت به الكتب وهو ان يفنا
عالم بامر الله به بفعل ما امر الله به فيفنى عن عبادة غير
وعن طاعة غير بطاعته وطاعة رسوله وعن التوكل
على غيره بالتوكل عليه وعن محبة ما سواه بمحبته وعن خوف
غيره بخوفه محبة لا يتبع العبد هواه بغير هدى من الله ومحبة
يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما قال تعالى قل ان
كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى يأتي الله بامره فهذا الله هو ما امر الله به ورسوله
واما الفناء الذي هو الذي يذكره بعض الصوفية
وهو ان يفنى عن شهود ما سوى الله فيفنى بمعبوده عن
عبادته وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته
بحيث قد يغيب عن شهوده بنفسه وبما سوى الله وهذا
حال ناقص قد يعرض لبعض السالكين وليس هو من لوازم
طريق الله وهذا لم يعرض مثل هذا للنبي صلى الله
عليه وسلم والسابقين الاولين ومن جعل هذا غاية السالكين

فهو ضال ضلالا مبينا وكذلك من جعله من لوازم طريق الله
وهو خطأ بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس
دون بعض ليس هو من اللوازم التي تحصل لكل سالك
واما الثالث فهو الغناء وجود الهوى بحيث يرى
ان وجود المخلوق هو عين وجود الخالق وان الوجود واحد
بالعين فهذا قول اهل الالحاد والاتحاد الذين هم من اضل
العباد واما مخالفتهم لضرورة العقل والقياس فان الواحد
من هؤلاء لا يمكنه ان يطرد قوله فانه اذا كان
مشاهدا للقدر من غير تمييز بين المامور والمحذور
فعومل بموجب ذلك حتى يبتلى باعظم الاوصاب والاوجاع
فان لم يفعل ذلك به وعابه فقد نقض قوله وخرج
عن اصل مذهبه وقيل له هذا الذي فعله منقض مقدور
مخلوق الله وقدرته ومشيئته متناول ذلك كله وهو ضد
فيهما فان كان القدر حجة لك فهو حجة لهذا والا فليس بحجة
لا لك ولا له فقد تبين بضرورة العقل فساد قول من ينظر
الى القدر ويعرض عن الامر والنهي والمؤمر بامور بان يفعل
المامور ويترك المحظور ويصبر على المقدور كما قال

الله تعالى وان يصبروا ويغفروا لا يضركم كيدهم شيئا وقال
تعالى في قصة يوسف انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر
المحسنين فالعفو من اعلى امر الله به وترك ما هي الله عنه وهذا
قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح
بحمد ربك بالعشي والابكار فامره مع الاستغفار بالصبر وان
العباد لا بد لهم من الاستغفار اولهم واخرهم قال صلى الله
عليه وسلم في الحديث الصحيح ايها الناس توبوا الى ربكم فوالذي
نفسي بيده اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من
سبعين مرة وقال انه ليغان على قلبي وانى لاستغفر الله واتوب
اليه في اليوم مايه مرة وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي
وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي
وجدي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت
وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني
انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت وقد ذكر
عن ادم ابي البشر انه استغفر ربه وتاب اليه واجتباه
ربه وتاب عليه وهدى وعن ابليس ابي الجن انه اصر
معلقا بالقدر ولعنه واقصاه لمن اذنب وتاب وندم وقد

اشبه أباه ومن اشبه اباه فما ظلم قال تعالى وحملها
الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنا فقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات
وكان الله غفورا رحيما وهذا فيه سبحانه من التوجد
والاستغفار وغيره كما قال تعالى فاعلم انه لا اله
الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال
تعالى الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
الا تعبدوا الا الله اني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى وفي
الحديث الذي رواه ابن ابي عاصم وغيره يقول الشيطان
اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني بلا اله الا الله
والاستغفار فلما رات ذلك بثثت فيهم الاهواء فهم
يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد
ذكر سبحانه عن ذي النون انه نادى في الظلمات ان لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال تعالى فاستجبنا
له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين قال النبي صلى
الله عليه وسلم دعوة اخي ذي النون ما دعي بها مكروب

الا فرح الله كربته وجماع ذلك انه لابد في الامر من اصلين
ولابد في القدر من اصلين ففي الامر عليه الاجتهاد في امتثال
الامر علما وعملا فلا بد الاجتهاد في العلم بما امر الله به والعمل
بذلك ثم عليه ان يستغفر ويتوب من تفريطه في المامور
وتعديه في الحدود وهذا كان من المشروع ان يختم جميع الاعمال
بالاستغفار وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى استغفر
ثلثا وقد قال تعالى والمستغفرين بالاسحار وقاموا الليل ثم
ختموه بالاستغفار واخر سورة نزلت قوله تعالى اذا جاء
نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وفي الصحيح انه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي تاول القرآن
واما في القدر فعليه ان يستعين الله في فعل ما امره وتوكل
عليه ويدعوه ويرغب اليه ويستعيذ به فيكون مفتقرا
اليه في طلب الخير وترك الشر وعليه ان يصبر على المقدور
ويعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن
ليصيبه واذا اذاه الناس علم ان ذلك مقدر عليه ومن هذا

الباب احتجاج ادم وموسى فقال يا أدم انت ابو البشر خلقك
الله بيده ونفخ فيكم من روحه واسجد لكم ملايكته لماذا اخرجتنا
ونفسك من الجنة فقال له ادم انت موسى الذي اصطفاك
الله بكلامه فلم وجدت مكتوبا على قبل ان اخلق وعصى
ادم ربه فغوى قال نعم اوكذا سنه قال فحج ادم موسى وذلك
ان موسى لم يكن عتبه لادم لاجل الذنب فان ادم كان قد
تاب منه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولكن لاجل
المصيبة التي لحقتهم من ذلك وهم مامورون ان
ينظروا الى القدر في المصاب وان يستغفروا من المعايب
فان فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك ومن راعى
الامر والقدر كما ذكر كان عابدا لله مطيعا له مستعينا
به متوكلا عليه من الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وقد جمع سبحانه بين هذين
الاصلين في غير موضع كقوله تعالى فاعبده وتوكل عليه
نستعين وقوله فاعبده واصطبر لعبادته وقوله
تعالى عليه توكلت واليه انيب وقوله ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله

ومنه حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شئ قدرا ما
فالعباده له والاستعانه به وكان صلى الله عليه وسلم يقول
عند الاضحيه اللهم منك ولك فما لم يكن بالله لا للون فانه لا حول
ولا قوه الا بالله وما لم يكن لله لا ينفع ولا يدوم ولا يعتد في
عبادته من اصلين احدهما اخلاص الدين له والثاني موافقه
امره الذي بعث به رسله ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله
لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيئا وقال الفضيل
بن عياض في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا قال اخلصه
واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم
يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان يكون لله والصواب
ان يكون على السنه ولهذا ذم الله المشركين على اتباع ما
شرع لهم شركاؤهم من الدين الذي لم ياذن به الله من عباده
غيره وفعل ما لم يشرعه من الدين قال تعالى ام لهم شركاء
شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله كما ذمهم على انهم حرموا
ما لم يحرمه الله والدين الحق انما هو احرام الا ما حرمه الله ولا
دين الا ما شرعه الله ثم ان الناس في عبادته واستعانته

اربعه اقسام والمومنون المتقون هم له وبه يعبدونه
ويستعينونه وطايفه بعده من غير استعانه ولا صبر
فيحدث عندهم حدهم تجريا للطاعه والورع ولزوم السنه
لكن ليس لهم توكل واستعانه وصبر وتوكل من غير استقامه
على الامر ولا متابعه للسنه فقد يمكن احدهم ويكون له نوع
من الحال باطنا او ظاهرا ويعطى من المكاشفات والتاييدات
ما لم يعطه الصنف الاول ولكن لا عاقبه له فان العاقبه للمتقين
والعاقبه للتقوى فالاولون هم دون صعق لكنه مستمر باق
ان لم يعده صاحبه بالجزع والعجز وهو ولاء لاحدهم حال
وقوه ولكن لم يقاله الا ما وافق فيه الامر واتبع فيه السنه
وشر الاقسام من لا يعبده ولا يستعينه فهولاء لم يشهد
عليه لله ولا آله بالله فالمعتزله ونحوهم من القدريه الذين
انكروا القدر هم في تعظيم الامر والنهي والوعد والوعيد
خير من هولاء الجبريه الذين يعرضون عن الشرع والامر
والنهي والصوفيه هم في القدر ومشاهده توحيد هم
الربوبيه خير من المعتزله ولكن فيهم من فيه بدع مع هم
اعراض عن بعض الامر والنهي والوعد والوعيد حتى

جعلوا الغاية هي مشاهدة توحيد الربوبية والفناء
في ذلك ويصرون ايضا معتزلين لجماعة المسلمين ورسمهم
معتزلة من هذا الوجه وقد يكون ما وقعوا فيه من البدعة
سرا من بدعة اولئك المعتزلة وهذا الطائفة تشتمل
من البصرة وانما دين الله ما بعث به رسله وانزل به كتبه
وهو الصراط المستقيم وهو طريقة اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير القرون وافضل الامة واكرم
الخلق على الله بعد النبيين والله تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم ورضوا عنه فرضي عن السابقين
الاولين رضي مطلقا ورضي عن التابعين لهم باحسان
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث
الصحيحة خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم وكان عبد الله بن مسعود يقول
من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا
يؤمن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ابر هذه الامة قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوما

اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه
فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى
المستقيم وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يا
معشر القراء استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم
فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن اخذتم
يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا وقد قال عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال
هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل
منها شيطان يدعوا اليه ثم قرا ان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
وقد امرنا الله ان نقول في صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم
والنصارى ضالون وذلك ان اليهود عرفوا الحق
ولم يتبعوه والنصارى عبدوا الله بغير علم ولهذا كان
يقال نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل

فان فتنتهما فبنه اكل مفتون وقال تعالى فاما ياتينكم
منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى قال
ابن عباس رضى الله عنه تكفل الله لمن قرا القران وعمل بما
فيه ان لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الاخرة وقرا هذه
الاية وكذلك قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما
رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم
واولئك هم المفلحون فاخبر انهم لا يضلون ولا يشقون وذلك
خلاف المغضوب عليهم والضالين فنسال الله العظيم
ان يهدينا وسائر اخواننا صراط المستقيم صراط الذين
انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
وحسن اولئك رفيقا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل

تجزئ العبد الفقير الى الله

والله الحمد فى كل كره وعد

على يد العبد المسمى عبد الله الحلبى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

تمت الكتاب
تعالى عنايته بتخليص
الدوماني
٢٠٠٩